وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر-بسكرة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

مطبوعة محاضرات في مقياس

تاريخ أوربا في العصور الوسطى

مقدمة لطلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ عام نظام (LMD)

إعداد الدكتور:

مبروك بن مسعود

السنة الجامعية:1441-1442هـ/2020-2021م

تعد العصور الوسطى الأوربية حقبة هامة من تاريخ العالم عامة والغرب اللاّتيني على وجه الخصوص، إذ أن هذه الفترة التي شغلت حيزا زمنيا طويلا من تاريخ المجتمع الأوربي، تميزت في عمومها بالجمود الفكري والحضاري خاصة في بداياتها، وظهر ذلك مع الغزو الجرماني للجهة الغربية. وأما في المرحلة اللاّحقة وخاصة القرن الحادي عشر الميلادي وما بعده عرفت أوربا نوعا من الاستقرار ووجود النظام الإقطاعي، الذي حل محل السلطة المركزية للدولة التي تعرضت للغزو، حيث حافظ على تماسك المجتمع اللاّتيني، حتى وإن سادت فيه الطبقية والعبودية. كما عرفت أوربا نمو المدن وظهور الجامعات وانتشار العلوم والمعارف التي استمدت أصولها من الحضارة العربية الإسلامية، وبهذا أقبل المجتمع على نهل رحيقها وخوض معركة التغيير تدريجيا.

ومن خلال المحاور الرئيسية لمقياس أوربا في العصور الوسطى، يمكن للطالب أن يتعرف أكثر على مجتمع الغرب اللاّتيني في تلك الفترة، وكيف تمكن هذا الأخير من شق طريقه نحو الأفضل.

وتتمثل المحاور الرئيسية في:

1-بداية ونهاية العصور الوسطى الأوربية. 2-أوضاع الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي. 3-ظهور المسيحية وموقف الإمبراطورية الرومانية منها.

4-الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطورين دقلديانوس وقسطنطين

5-غزوات الجرمان وسقوط الجناح الغربي من الإمبراطورية. 6-نشأة البابوية وتطورها

7-ظهور الإسلام وانتشاره.

8-مملكة الفرنجة وعلاقتها بالمسلمين

9-الصراع بين البابوية والإمبراطورية.

10-أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوربا في العصور الوسطى.

المحاضرة الأولى

العصور الوسطى(المصطلح، البدايات)

مصطلح العصور الوسطى:

إنّ مصطلح العصور الوسطى يُطلق على الفترة الوسيطة، التي تقع بين عراقة الماضي وعظمة الحاضر، وقد تمّ إيجاد هذا المصطلح بعد انتهاء هذا العصر بمدة زمنية طويلة[1]. وأول من استخدم مصطلح العصر الوسيط Aveum Medium هم الأدباء الإنسانيون في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، حيث كان هؤلاء وخاصة بترارك شغوفين بالثقافة اليونانية والرومانية فعملوا على إحيائها، كما أطلقوا على العصر الذي عاشوا فيه اسم عصر النهضة، لأنه تميز ببعث التراث القديم. وحسب ما يراه الإنسانيون أن المرحلة الممتدة منذ سقوط روما إلى غاية عصر النهضة فهي عصر انحطاط وتخلف[2].

ولقد كانت العصور الوسطى فترة استمرارية وتكوين، إذ تعد استمرارية لروما القديمة في الجنس البشري واللغة والمؤسسات، وغيرها من نظم حضارية كالقانون والآداب والفنون، كما أنها استمرارية لثقافات مستقلة عن الرومان، إذ نجد الفرنجة والسكسون واليونانيين والعرب، كلٌّ بثقافته وفكره له تأثير في حضارة الغرب[3]، وخاصة الحضارة العربية الإسلامية التي لها فضل كبير على المجتمع اللاّتيني.

آراء المؤرخين حول بدايات العصور الوسطى:

تباينت آراء المؤرخين والباحثين بخصوص إعطاء مفهوم للعصور الوسطى الأوربية، هذه الحقبة التي عاشتها أوربا والتي قاربت الألف عام، إذ أنها كانت حلقة تربط بين مجتمع

---

[1] موريس بيشوب، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة: على السّيد علي، 2005، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص. 11.

[2] نعيم فرح، الحضارة الأوربيّة في العصور الوسطى، ط. 2، منشورات جامعة دمشق، 1999- 2000م، ص. 10- 11.

[3] موريس بيشوب، المرجع السابق، ص.11.

عاش تحت هيمنة الدولة الرومانية وما أنجزته حضاريا، وبين فترة تعد نافذة منها تطلعت أوربا لما وراء حدودها الجغرافية والسياسية، وشقت طريقها نحو مستقبل أفضل.

1- **الرأي الأول:** يرى أصحاب هذا الرأي أن فترة حكم الإمبراطور دقلديانوس Diocletianus[1] (284-305م) حدا فاصلا في التاريخ، نتيجة للأعمال الإدارية التي قام بها، إذ أنه قسم إمبراطوريته إلى أربعة أقاليم ليسهل تدبير شؤونها، على أن يحكم الدولة إمبراطوران هما دقلديانوس ومكسيميانوس Maximianus يتخذان لنفسهما لقب أغسطس، يساعدهما اثنان آخران يحملان لقب قيصر، كما يجب أن يتخلى الإمبراطوران عن الحكم بعد عشرين سنة، ويحل محلهما القيصران[2].

2- **الرأي الثّاني:** يشكل عام 313م[3] بداية عصر أوربي جديد، نتيجة للاعتراف بالمسيحية كديانة مصرح بها وتزايد معتنقيها، فيما بعد أصبحت ديانة رسمية للدولة، وما أحدثته داخل المجتمع اللاّتيني. كما أن الإمبراطور قسطنطين Constantin[4] وبنائه لمدينة جديدة في

---

[1] دقليديانوس(284-305م): حاول هذا الإمبراطور إنقاذ الإمبراطورية في القرن الثالث الميلادي، غير أن هناك من حاول من قبله في الإصلاح ومنهم أورليان (270-275م)، حيث أطلق عليه في الوثائق مجدد الإمبراطورية، إلا أن دقلديانوس حاول في الإصلاح الكلي بعيد الأثر في مختلف جوانب الحياة. وللمزيد من التفاصيل، انظر: محمد حمزة حسين، لبنى رياض عبد المجيد، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، 2015، (د.ب.ن) ص.46.

[2] هربرت أ.ل. فشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، القسم الأول، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني، ط.5 ، دار المعارف، القاهرة ، 1966، ص. ص.1-3.

[3] في هذه السنة أصدر الإمبراطور قسطنطين مرسوم ميلان، وفيه تم الاعتراف بالديانة المسيحية. وللمزيد من التفاصيل، أنظر: الجعفري الهاشمي، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، 1998، نشر وتوزيع مكتبة العبيكان، الرياض، مج.2، ص.500، حاشية (2).

[4] قسطنطين(306-337م): الإمبراطور قسطنطين ابن غير شرعي لضابط روماني يدعى قنسطنطيوس من إحدى الخادمات في الحانة تسمى هيلانة، لم ينل من العلم حظا وافرا، انخرط في صفوف الجيش الروماني مبكرا، وبعد وفاة والده نادى به الجند إمبراطورا سنة 306م، نازعه الملك القائد مكسنيوس. غير أن قسطنطين انتصر على خصمه سنة 312م. بفضل دعم النصارى له، إذ أنه كان متسامحٌ معهم بعد ما رأى تزايد عددهم، وفي سنة 313م أصدر مرسوم ميلان الذي يعترف فيه بالنصرانية كديانة. وفي سنة 324م ادعى بأنه اعتنق النصرانية بدلا من الوثنية الرومانية، غير أنه لم يعلن

الشرق ورأى بأن بيزنطة هي الموقع المناسب لبناء القسطنطينية، لتجعل من ذلك إستراتيجية جديدة وبداية عهد جديد، فضلا عن إصلاحاته التشريعية والعسكرية والإدارية، وظهر بمظهر الحاكم الذي لا منافس له[1].

3-**الرأي الثالث:** يرى بعض المؤرخين أن فترة حكم الإمبراطور قسطنطين(305-337م)، بداية للعصور الوسطى، حيث تمكن هذا الإمبراطور من القضاء على الحرب الأهلية وتنصيب نفسه حاكما أوحد للإمبراطورية الرومانية[2].

4- **الرأي الرابع:** في حين يرى بعض الباحثين بأن بناء القسطنطينية، وتحويل مقر العاصمة إليها سنة 330م، وإحداث إصلاحات تشريعية وعسكرية وإدارية يعتبر بداية للعصور الوسطى[3].

5- **الرأي الخامس:** يرى فريق آخر من المؤرخين أن عام 361م هو بداية للعصور الوسطى، حيث تولى عرش الإمبراطورية في هذه السنة جوليان Julian الملقب بالمرتد، وحاول الرجوع إلى الوثنية، لكن محاولته سرعان ما فشلت، واسترد المسيحيون امتيازاتهم بعد وفاته. ويرى المؤرخون أن عهد هذا الإمبراطور هو آخر عهود الوثنية، وأول عهود المسيحية باعتبارها من دعائم العصور الوسطى الأوربية[4].

6- **الرأي السادس:** هناك من يرى بأن سنة 376م بداية للعصر الوسيط، وهذا نتيجة لتحوّل القوط من الوثنية إلى المسيحية على المذهب الأريوسي، على يد الأسقف أوليفيلاس

رسميا اعتناقه النصرانية، إلا وهو على فراش الموت سنة 330م. للمزيد من المعلومات، أنظر: الجعفري الهاشمي، أبو البقاء صالح بن الحسين، المصدر السابق، مج.2، ص.500، حاشية (2).

[1] هربرت فشر، المرجع السابق، ص.ص.3-10؛ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986، ص.16.

[2] محمود سعيد عمران، المرجع نفسه، ص.16.

[3]) المرجع نفسه، ص.16؛ عاشور عبد الفتاح، تاريخ أوربا، ص.41.

[4] محمود سعيد عمران، المرجع نفسه، ص.17.

Wulfilas (310-383م)، كما أن هناك عناصر أخرى اعتنقت هذا المذهب على غرار القوط، وذلك يُعد مؤشرا لبداية عصر أوربي جديد[1].

7- **الرأي السابع:** ويتعلق الأمر بانتصار القبائل الجرمانية والمتمثلة في القوط الغربيين على قوات الإمبراطورية الرومانية سنة 378م، حيث دارت معركة أدرنة بين الطرفين وتم سحق الجيش الروماني، كما لقي الإمبراطور فالنز Valens(364-378م) مصرعه في تلك المعركة، حتى أن بعض المؤرخين شبهوها بمعركة كناي Canay سنة 216 قبل الميلاد، التي دارت رحاها بين القرطاجيين بقيادة حنبعل والجيش الروماني، التي أدت إلى سحق القوات الرومانية وكبدتها خسائر فادحة[2].

8- **الرأي الثامن:** يرى بعض المؤرخين أن سنة 379م بداية للتاريخ الأوربي الوسيط، وذلك من خلال ما قام به الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I(379-395م)، ويعتبرون سنة 379م مرجعا لذلك، حيث قرر هذا الإمبراطور القضاء على الوثنيين، وكذلك على أتباع المذهب الأريوسي، إذ أنه في مجمع القسطنطينية قرر عدم شرعية المذهب الأريوسي، كما قام بغلق مراكز عبادة الوثنيين ومنعهم من القيام بنشاطهم[3].

9- **الرأي التاسع:** يجعل بعض المؤرخين سنة 395م بداية لحقبة جديدة في تاريخ الغرب اللاّتيني، إذ أنه في هذه السنة قسم الإمبراطور ثيودوسيوس دولته بين ولديه، بحيث أصبح الشرق تحت قيادة ولده أركاديوس Arcadius، بينما الجزء الغربي بحوزة ابنه الآخر

---

[1] محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص.17.

[2] المرجع نفسه ، ص.18.

[3] المرجع نفسه، ص ص.17-18.

هونوريوس Honorius، بحيث كل منهما مستقل عن الآخر، في حين أصبح القسم الغربي ضعيفا وتدهورت حالته بسبب ضربات القبائل الجرمانية[1].

10- **الرأي العاشر**: لقد اعتبر بعض الباحثين أن سنة 410 م بداية للحقبة الوسيطة في أوربا، حيث تم فيها تحرك القبائل الجرمانية والمتمثلة في القوط الغربيين Visigoths تحت زعامة قائدهم الآريك Alaric، باتجاه ايطاليا وتم غزوها ودخول العاصمة روما[2].

11- **الرأي الحادي عشر**: يرى معظم المؤرخين أن سنة 476م، هو بداية العصور الوسطى الأوربية، إذ أنه في تلك السنة تمكن القائد الجرماني أودواكر Odoacer من دخول العاصمة الرومانية في الغرب، حينها كان الإمبراطور رومولوس أغسطولوس Romulus Augustulus جالس على عرش الإمبراطورية، وأرسل القائد الجرماني شارات الملك والسلطان لإمبراطور الشرق زينو Zeno (474-491م)، الجالس على عرش القسطنطينية آنذاك يدعوه لوحدة التاج، وبذلك تنتهي الإمبراطورية الرومانية في الغرب، وهذا إرهاصا ببداية عصر جديد[3].

12- **الرأي الثاني عشر**: تعتبر مجموعة من الباحثين أن عهد الإمبراطور جستينيان Justinien (527-565م) حدا فاصلا بين العصرين القديم والوسيط، نتيجة للإنجازات التي قام بها هذا الإمبراطور على الصعيدين الداخلي والخارجي، مثل تشريعاته وحركته المعمارية، بالإضافة إلى أعماله العسكرية التي قام بها لصالح الإمبراطورية، ومنها انتزاع

---

[1] جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية و حضارتها ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 1984، ص ص.27-28.

[2] المرجع نفسه، ص ص.28-29.

[3] المرجع نفسه، ص. 29.

شمال إفريقيا من الوندال وايطاليا من القوط الشرقيين وأجزاء من اسبانيا من القوط الغربيين[1].

13- **الرأي الثالث عشر**: ترى مجموعة أخرى من المؤرخين أن بداية العصور الوسطى الأوربية، تبدأ بنهاية عهد الإمبراطور جستينيان أي سنة 565م، وأصبح ظاهر للعيان أن لا أمل في استرجاع أمجاد الرومان خاصة في الغرب، بعد أن أصبح في قبضة الممالك الجرمانية، في حين شق الجناح الشرقي طريقه لصناعة مجده، وبالرغم من المحاولة التي قام بها الإمبراطور جستين Justin الذي خلف جستينيان، وإعادة المجد الروماني، إلا أن محاولاته باءت بالفشل[2].

14-**الرأي الرابع عشر**: يرى عدد آخر من المؤرخين أن العصور الوسطى تبدأ من سنة 800م، حيث تم تتويج شارلمان إمبراطورا على الغرب، وقد قام هذا الأخير بإحياء أمجاد الإمبراطورية الرومانية القديمة تحت اسم الإمبراطورية الرومانية الغربية المقدسة، لتتلاءم مع الظروف الجديدة التي تمر بها المنطقة، إذ أن الجرمان بمعتقدهم المسيحي انتصروا على الوثنية والدولة الرومانية القديمة[3].

ومن خلال الآراء التي قيلت بخصوص بداية العصور الوسطى الأوربية، ولكل مبرره في ذلك، إلا أن بداية هذه الحقبة فبلا شك أنها تبدأ في القرن الخامس الميلادي[4].

.....

[1] محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص.16.

[2] جوزيف نسيم يوسف ، المرجع السابق ، ص ص.30-31.

[3] المرجع نفسه، ص.31.

[4] المرجع نفسه، ص.32.

المحاضرة الثانية

العصور الوسطى(النهايات، مراحل العصور الوسطى، أهم الخصائص العامة لأوربا في العصور الوسطى)

إن نهاية العصور الوسطى الأوربية ميزتها ظروف غير التي بدأت بها، إذ أنه في القرن الخامس عشر الميلادي حدثت انقلابات، بها انتفض العالم الوسيط، حيث أقدم رجال الفن على التخلص من أغلال العصور الوسطى المبكرة، التي جعلت هذا الفن مسيحيا خالصا مستمد قوته من الأناجيل والكتب المقدسة، كما استمدوا ذلك الفن من حياتهم الواقعة، ومن جوهر الدين المسيحي ومن تراث القدامى اليونان والرومان، حيث كان الأسلوب يختلف عن الفن القوطي[1] الذي ساد في العصور الوسطى، وأصبحت الروح الإنسانية تسعى لتذوق الفن بشتى أنواعه. ولقد كان لرجال الأدب دورهم في الخروج عن التفكير المسيحي الضيق محاولين التحرر من تلك التقاليد، وعادوا إلى

[1] من فنون العصور الوسطى، حيث تم تصوير مشاهد دينية ودنيوية، وانتشار نوع معين من العمارة، وقد تميز هذا النوع من الفن بالالتزام بقبس من التكلف الذي يُخضع الأشكال جميعا سواء كانت أشكالا آدمية أو نباتية لإيقاع أسلوب خطي أنيق رشيق، يأخذ رقته من الروح الجمالية القوطية، بل حتى الموضوعات الدينية التي تشيع فيها النظرة التصوفية، تراها وقد غشتها أحيانا مسحة غنائية دنيوية، إذ أن الفنان أخذ في لوحاته الكثير من القصص الدينية التي تتناول الأدوات والثياب والعادات فيه ملامح العصر الذي صُوّرت فيه، وبهذا تكون قد أُضيفت الصبغة الإنسانية على الفن الديني. كما انتشرت الموضوعات الدنيوية كالصيد والفلاحة. وقد انتشر هذا النوع من الفن في أوربا الغربية من منتصف القرن الثاني عشر الميلادي إلى أوائل القرن الخامس عشر الميلادي، كما انتشر في ايطاليا وشمال أوربا. وأن هذا المصطلح (القوطي) استعملوه للتعبير عن ازدراء معين للأنماط التي تعتبر بربرية ومرتبطة بالقوط. للمزيد من التفاصيل، انظر: فنون عصر النهضة، الرينيسانس 1، دراسة: ثروت عكاشة، ط.3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011، ص.88. انظر أيضا:
Encyclopedia of the Medieval World, Edit. Edward D.English, Library of congress, N.Y, U.S.A, 2005, P.306

التراث محاولين إحياءه، علما أن العرب كان لهم دور كبير في نقل هذا التراث من الشرق إلى الغرب[1].

ومن بين **الآراء التي قيلت حول نهاية العصور الوسطى** نجد:

1-**الرأي الأول:** ويظهر ذلك مع الأديب دانتي أليجيري Dante Alighieri (1265-1321م)، الذي غرس بذور العصر الحديث، حتى وإن كان يتمسك بعض الشيء بالفكر الوسيط، ولكن كتاباته باللغة الايطالية وخلاصتها اعتبرها المؤرخون نهاية العصور الوسطى، وبداية حركة نهضة علمية استمرت في القرن الخامس عشر وبلغت الذروة في القرن السادس عشر، وبهذا يكون القرن الرابع عشر نهاية العصور الوسطى الأوربية، وبداية العصر الحديث[2].

2- **الرأي الثاني:** بداية حركة الإصلاح الديني التي تزعمها أفراد رأوا بضرورة الإصلاح الكنسي، ومن أمثلة ذلك حنا ويكلف الإنجليزي John Wycliffe(1324-1384م)، وحنا هس البوهيمي Jan Hus(1366-1416م) في القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الميلاديين، وكذلك حركة مارتن لوثر الألماني في القرن السادس عشر الميلادي. وحركة الإصلاح هذه توحي بنهاية وصاية الكنيسة الكاثوليكية، بالرغم من رد فعل هذه الأخيرة واتهام هؤلاء الأشخاص بالهرطقة[3] أي الخروج عن المعتقد المسيحي[4].

---

[1] جوزيف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص.37.

[2] المرجع نفسه ، ص ص.37، 42.

[3] الهرطقة عند الكاثوليك، تعني الرأي الديني المناقض للإيمان الكاثوليكي، أو هي التشبث بخطأ إرادي يتعارض مع مبدأ إيماني موحى به، وتعلمه الكنيسة بصفته هذه، كما أن الروم الأرثوذكس يعتبرون اللاّتين هراطقة. للمزيد عن هذا المصطلح، أنظر: ويلتر (ج)، الهرطقة في المسيحية، ترجمة جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، بيروت، ص.17.

[4] جوزيف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص ص.39-40، 42-43.

3- **الرأي الثالث:** يرى بعض المؤرخين أن نهاية العصور الوسطى تبدأ من سنة 1453م، إذ أن هذا الحدث له وقعه في الشرق والغرب، ففي الشرق استحوذ المسلمون الأتراك على القسطنطينية، بينما في الغرب اللاّتيني وضعت الحرب أوزارها، التي كانت بين إنجلترا وفرنسا، وما نتج عن نهايتها في مجالات الحياة الاقتصادية والفكرية على الخصوص[1].

4- **الرأي الرابع:** تدور الآراء حول حركة الاستكشافات الجغرافية سنة 1492م، وفيها تم اكتشاف أمريكا، كما تم فيها استيلاء الأسبان على مملكة غرناطة ونهاية الحكم الإسلامي في الأندلس، وفي سنة 1498م تمكن البحار فاسكو ديجاما Vasco De Gama من استكشاف رأس الرجاء الصالح بالطرف الجنوبي من القارة الإفريقية، ومنها وصولا إلى الهند[2].

5- **الرأي الخامس:** يرى بعض المؤرخين أن النهضة العلمية التي شهدها المجتمع اللاّتيني أواخر العصر الوسيط، ومنها الخروج عن تعاليم الكنيسة والعودة إلى التراث اليوناني والروماني، هي التي وضعت حدا لنهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث، وقد ظهرت هذه النهضة من بداية القرن الرابع عشر واستمرت حتى القرن الخامس عشر الميلادي[3].

6- **الرأي السادس:** من أحدث الآراء التي دارت حول نهاية العصور الوسطى، ما قاله المؤرخ جوفري باراكلاف Geoffrey Barraclough "أن العصور الوسطى تمتد حتى القرن السابع عشر الميلادي، وبنهايتها يبدأ العصر الحديث"[4]، وعليه فليس هناك ما يعرف بعصر النهضة الذي يعد خاتمة للعصور الوسطى الأوربية[5].

---

[1] محمود سعيد عمران ، المرجع السابق ، ص.21.

[2] جوزيف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص ص.43-44.

[3] جوزيف نسيم يوسف، المرجع نفسه، ص.44.

[4] نقلا عن جوزيف نسيم يوسف، المرجع نفسه، ص.44.

[5] جوزيف نسيم يوسف، المرجع نفسه، ص.ص.44-45.

بالرغم من اختلاف الآراء حول بداية ونهاية العصور الوسطى، إلا أن بدايتها كانت في القرن الخامس الميلادي، بينما نهايتها كانت في القرن الخامس عشر الميلادي[1].

مراحل العصور الوسطى:

لقد شغلت العصور الوسطى الأوربية حيزا زمنيا معتبرا، إذ أنها قاربت الألف سنة أو تجاوزتها قليلا، وبذلك لا يمكن أن نحكم على الذين عاشوا في تلك العصور على أنهم عاشوا على نمط واحد من الحياة في مختلف مجالاتها، وبهذا يمكن أن تقسم تلك العصور إلى ثلاثة مراحل وهي:

المرحلة الأولى: تبدأ من القرن الرابع حتى العاشر الميلادي، وتميزت بازدياد اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، والغزوات الجرمانية، كما أنها شهدت الفتوحات الإسلامية في القرنين السابع والثامن الميلاديين، حتى وصل مداها غربا إلى اسبانيا، بالإضافة إلى تحرك قبائل الفايكينغ Viking من جزيرة اسكندينافيا في القرن التاسع، وفي تلك الظروف انعدم الأمن والاستقرار. وبالرغم من ذلك انصهرت عادات وتقاليد العناصر الوافدة إلى الغرب اللاّتيني مع الحضارة الرومانية، كما انتشر المذهب الأرثوذكسي في شرق أوربا، في حين انتشر المذهب الكاثوليكي في غربها، بالإضافة إلى وجود الهرطقة أيضا[2].

-**المرحلة الثانية:** تمتد بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين، في هذه المرحلة تمتع الغرب اللاّتيني بنوع من الأمن النسبي، ووجود النظام الإقطاعي Feudalisme[3].

---

[1] جوزيف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص.45.

[2] محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص.25.

[3] إن من أولى صور الإقطاع ما يُسمى بـ: بينيفيسيوم Beneficium، أي الأرض الممنوحة من الحيازة الإقطاعية والاحتفاظ بها مؤقتا، ولكن من الناحية النظرية هي للسيد. وقد قُدِّمت منحٌ لرجال الدين من قبل التاج مقابل الدعاء له ولعرشه، بل الدعاء له حتى بعد وفاته. ويقوم من يتسلم الأرض باستغلالها، بعدها أصبحت تمنح للمحاربين مقابل الخدمة العسكرية بالشرط نفسه. غير أن ضعف الحكومة المركزية في الدولة الميروفنجية Merovingians شجع الهيئات والأفراد على تحويل هذه المنح إلى اقطاعات وراثية، بعد ذلك تغير اللفظ إلى فيودوم Feudum، أي حيازة الأرض قابلة للتوريث، مع بقاء شرط خدمة السيد. وبازدياد نفوذ النواب في الأقاليم وإدارة شؤونها رسخ ذلك المفهوم. وعند ظهور الكارولنجيين،

كما ظهرت الجامعات وأهتم المجتمع بالمعرفة، وخاصة دراسة الفلسفة اليونانية والقانون الروماني، كما نمت المدن وأهتم أفراد المجتمع بالفنون، وتميزت تلك الفترة كذلك ببروز قوتين هما الدينية بزعامة البابا والثانية دنيوية بزعامة الإمبراطور. وبهذا دخلت أوربا مرحلة التكوين وأن حضارتها أخذت شكلا مختلفا عن المرحلة السابقة، وظهرت بها نهضة عُرفت باسم نهضة القرن الثاني عشر لها خصائصها وسماتها[1].

-**المرحلة الثالثة:** هذه المرحلة خلال القرن الرابع عشر الميلادي، وفيها تم الاستفادة من الأفكار الجديدة، نتيجة الاحتكاك بين الشرق والغرب، وتعتبر الأندلس وصقلية وبلاد الشام منافذ حضارية، منها انتقلت العلوم والمعارف العربية الإسلامية إلى الغرب اللاّتيني، ومن بين الشخصيات الإسلامية التي أثرَت بعلومها ومعارفها في المجال العلمي والفكري، جابر ابن حيان (702-765م/ 82-147هـ) في الكيمياء، وكذلك الخوارزمي (780-850م/163-235هـ)، حيث وضع جداول في حساب المثلثات، كما وضع الفرغاني حوالي سنة 860م/245هـ كتابا في علم الفلك ظلت أوربا تعتمد عليه زمنا طويلا، وغيرهم كثير في كل التخصصات العلمية والفكرية[2].

حاول شارلمان Charlemagne الحد من نفوذ الكونتات والأدواق وإخضاعهم للتاج، ولكن عندما ضعفت الدولة الكارولنجية ازداد نفوذ الكونتات والأدواق مرة أخرى، فأصبحوا يعقدون المحاكم ويُحصِّلون الضرائب ويُعِدّون الجيوش لحماية مصالحهم، وأصبح هؤلاء يُقطعون الأرض للأفصال (الأتباع) مقابل الخدمة العسكرية في جيوشهم. وبهذا اضطر الملوك العاجزون إلى الاكتفاء بيمين الولاء يؤديه الكونت إلى التاج، ويقدم مجموعة من فرسانه للملك في حالة الحرب وبعض المال في المناسبات. وبهذا يكون النظام الإقطاعي قد أصبح واقع في الغرب اللاّتيني. للمزيد من المعلومات عن تعريف الإقطاع ونشأته وتطوره، انظر: إسحاق عبيد تاوضروس، الفرسان والأقنان في مجتمع الإقطاع، ط.2، 1975، مطبعة دار الكتب، بيروت، لبنان، ص.ص.20-22. وللمزيد أيضا أنظر:: أحمد إبراهيم الشعراوي، الإقطاع وأوربا في العصور الوسطى، 1970، المطبعة العالمية، القاهرة.

[1]) محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ص.25-26.

[2] محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص.26.

أهم الخصائص العامة لأوربا في العصور الوسطي :

1- بالرغم من ما وُصف به الغرب اللاّتيني في العصور الوسطى، من جمود حضاري وفكري، وأن أوربا في تلك الفترة كانت غارقة في ظلام دامس، إلا أن الحقيقة غير ذلك فهي حاولت أن تحافظ وتتكيف مع التراث الكلاسيكي الروماني واليوناني، وأن تأخذ من عادات وتقاليد العناصر الجديدة، المتمثلة خاصة في العنصر الجرماني، فضلا عن الديانة المسيحية ومبادئها، كل ذلك يعطيها فعالية في الحياة، وأن تسهم بما لديها من إثراء الحضارة الإنسانية[1].

2- ارتكز الغرب اللاّتيني في العصور الوسطي على دعامتين أساسيتين هما: الدين والحرب، فأما الدين فتمثل في المسيحية، منذ البدايات الأولى أُعتبر الدين المسيحي دين رسمي للدولة في أوربا، وهو كذلك أساس للحياة والفكر، وأن الكنيسة صاحبة السيادة بدون منازع، وكل من يخرج عنها يعد هرطيقا. وأما بخصوص فكرة الحرب فلا يمكن فصلها عن حركة من حركات عالم العصور الوسطى الأوربية، فهي متعلقة بالجرمان وغزواتهم وبالفروسية وبالإقطاع الذي ركيزته الأساسية هي الأرض، وعلى أساسه انقسم المجتمع إلى طبقات وفئات. ولهذا تجد الأسياد من ملوك ونبلاء وأباطرة وبابوات، في المقابل تجد الفلاحين والأقنان والعبيد، وبهذا يكون الفرد إما سيدا أو مسودا، وأن الفرد في المجتمع اللاّتيني تنمحي شخصيته في الطبقة التي ينتمي إليها[2].

3- تميزت العصور الوسطى الأوربية بالديانة المسيحية، التي كان لها رد فعل على العالم القديم ووثنيته، التي تدعو إلى التحرر بحكم تعدد الآلهة والتمتع بالحياة، بينما المسيحية دعت إلى العبادة والتقشف في الحياة من أجل النعيم في الدار الثانية. ولهذا حدت الكنيسة

---

[1] إسحق عبيد تاوضروس، أوروبا في العصور الوسطى : المفهوم والحضارة ، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006.

[2] جوزيف نسيم يوسف ، المرجع السابق ، ص ص.50-51.

من أفكار المجتمع وعدم خوض غمار البحث والمعرفة، فأصبحوا يغطون في نوم عميق. بالرغم من ذلك كان هناك رد فعل تجاه ذلك، إذ شهدت أوربا نهضة في القرن الثاني عشر، كما نادى البعض بضرورة الإصلاح في الجهاز الكنسي وبروز دعاة الفكر الحر، وهذا بحد ذاته إيذانا بزوال العصور الوسطى وبداية عصر جديد [1].

المحاضرة الثالثة

أوضاع الإمبراطورية الرومانية

تعد الإمبراطورية الرومانية من أعظم إمبراطوريات العالم القديم، وذلك بضمها لمراكز الحضارات القديمة بمختلف أعراقها وثقافاتها وعاداتها وتقاليدها، وطبعا هذا باستثناء بعض مواطن الحضارات الأخرى، كالفارسية والهندية. ونجد أقصى اتساع لهذه الإمبراطورية في عهد الإمبراطور تراجانوس Trajanus (98 – 117م)، علما أن نفوذ روما وصل إلى ما وراء حدودها السياسية. وتعود هيمنتها إلى أن السلطة المركزية للإمبراطورية مترامية الأطراف استطاعت أن تَسُنّ قوانينها وتشريعاتها التي تتناسب مع ذلك العدد الهائل من مختلف الأعراق[2].

[1] جوزيف نسيم يوسف ، المرجع السابق ، ص ص.51-53.

[2] عاشور، تاريخ أوربا، ص ص.7-8.

كما قام الإمبراطور أغسطس Augustus (27 ق.م – 14 م) بوضع نظام سياسي جمع بين نظامين، يتمثل في نظام القياصرة والنظام الجمهوري، حيث في النظام الأول حكم عسكري يعترف فيه الجميع بسلطة سيدهم الأعلى. بينما الثاني حكم جمهوري، أي الإقرار بأهمية المواطنين الرومان في ايطاليا والولايات الرومانية الأخرى، إلى جانب ذلك الاعتراف بسلطة قائد القوات المسلحة. بمعنى أن أغسطس وضع نظام توفيقي بين الزعامة العسكرية الموروثة عن سابقيه للحفاظ على الدولة وسلامتها، وفي الوقت نفسه حفظ مكانة المواطن الروماني وامتيازاته[1].

أزمة القرن الثالث الميلادي في الإمبراطورية الرومانية

تعد فترة حكم الإمبراطور كومودوس Comodus (180–192م) نهاية عصر الاستبداد المستنير، وبداية مرحلة جديدة تميزت بسفك الدماء واشتداد البؤس، إذ أصبحت للجيش سلطة مطلقة يتحكم كيفما شاء في مصير الدولة الرومانية، ومن مظاهر هذه الأزمة:

1 – اختلال النظام وانعدام الأمن وتحكم القادة العسكريين وعزل الأباطرة.

2 – الحرب الأهلية وتوجه الولايات الرّومانيّة للانفصال .

3– تعرض الإمبراطورية الرومانية للغزو الجرماني، وانتزاع بعض الأقاليم بالغرب اللاّتيني.

4– اجتياح الفرس للأقاليم الرومانية في الشام، بل وصلت غاراتهم إلى بحر ايجة وبلغت قوة الفرس ذروتها في حملة سنة 260م ليس هذا فحسب، بل وقع الإمبراطور الروماني فاليريان Valérien أسيرا لدى الملك الفارسي شابور Shahpur(Sapor)[2]. كما أن مملكة تدمر العربية توسعت على حساب الرومان، وامتدت إلى جبال طوروس شمالا وإلى خليج العقبة جنوبا، واستمرت في الوجود إلى أن تمكن الإمبراطور أورليانوس Aurelienus

[1] سعيد عاشور عبد الفتاح، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان، 1976 ، ص ص.10–11.

[2] السيد الباز العريني ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت، (د.ط) ، ص ص.11–13.

(270–275م) من دحر قوات الملكة زنوبيا سنة 270م[1]، ملكة تدمر والشرق ذائعة الصيت[2]،

4 – اشتداد سوء الأحوال وتزايد ضغط البرابرة على الحدود الرومانية[3].

ولقد حاول الأباطرة الرومان الدفاع عن حدود الإمبراطورية، وإعادة وحدتها وإخضاع غالة وسوريا، بداية من حكم كلوديوس Clodius إلى غاية ولاية دقلديانوس (270–284م)، وفي السنة الأخيرة، أي284م اختار الجند دقلديانوس إمبراطورا[4]. ويُعد هذا الأخير من أهم الشخصيات البارزة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، نتيجة أعماله الإصلاحية لإنقاذ دولته المتهالكة.

-إصلاحات الإمبراطور دقلديانوس (284–305م):

1– قيامه بأعظم عمليّة ترميم من أجل إعادة بناء الإمبراطوريّة المتداعية.

2– وجّه دقلديانوس جهوده نحو ثلاثة أهداف أساسية وهي: تقويّة نفوذ الحاكم وإعادة تنظيم الجهاز الحكومي، بالإضافة إلى تجديد نظام الجيش.

3 – إقرار الأمن والنّظام في مختلف الولايات، وإخضاع الثّورات التي قامت في غاليا ومصر وولاية إفريقيا وبريطانيا، كما تصدى لهجمات البرابرة الجرمان على جبهتي الراين والدانوب، وقام بمهاجمة الفرس واسترد منهم بلاد مابين النّهرين سنة 297م.

---

[1] السيد الباز العريني ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت، (د.ط) ، ص ص.13–14.

[2] ادوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درة، ط.2، 1997، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ج.1، ص.189.

[3] السيد الباز العريني ، المرجع السابق، ص ص.11–14.

[4] السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص.15.

5 – إنشاء قوة عسكرية متحركة، تتنقل في أي اتجاه وفي أي وقت من أجل حماية الإمبراطورية الرومانية، حسب الظروف ووفق ما يريده الإمبراطور[1]، ومن أعماله في الجانب الاقتصادي أعاد ضرب العملة الذهبية والفضية، وقد لقي ذلك نجاحا[2].

-الحكومة الرباعية:

تشكلت الحكومة من إمبراطورين وقيصرين، حيث أختار دقلديانوس جاليريوس Galerius نائبا له ومقره في نيقوميديا Nicomedia، بينما أختار مكسيميان قنسطنطيوس Constantius ومقره في ميلان Milan. وفي حالة تنحي أحد الإمبراطورين عن منصبه يعتلى مساعده مكانه، وفي الوقت نفسه يختار الإمبراطور المنسحب القيصر الجديد، على أن تكون فترة حكم الإمبراطور عشرين سنة، ويتمتع القيصر بامتيازات وحقوق مثلما للإمبراطور كضرب العملة مثلا[3].

إصلاحات الإمبراطور دقلديانوس في المجال الإداري:

1 – فصل السلطة المدنية (الإدارية) عن السلطة العسكرية.

2–تعيين ولاة يباشرون الوظائف القضائية بأنفسهم، ولم يسمح لهم بتعيين قضاة، إلا في الحالات الضرورية.

3 – تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى أربعة أقسام كبيرة تعرف بالولايات Prefecturae على رأس كل منها حاكم له صلاحياته وهذه الولايات هي:

أ– ولاية غالة: تتمثل في بريطانيا، غالة، اسبانيا، مراكش(المغرب). **ب** – ولاية ايطاليا : (الأراضي الواقعة على نهر الدانوب والبحر الأدرياتي، ايطاليا، الجزائر، تونس وطرابلس

---

[1] سعيد عاشور عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص ص.18–19.

[2] هـ. سانت، ل.ب، موس، ميلاد العصور الوسطى 395–814، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص ص.26–27.

[3] السيد الباز العريني، المرجع السابق، ص ص.35–36.

الغرب. **ج** – ولاية ايلليريا: وتضم داسيا، مقدونيا واليونان. **د** – ولاية الشرق: ما تبقى من أقاليم الإمبراطورية الرومانية، ومنها آسيا الصغرى، الشام ومصر. وانقسمت هذه الولايات بدورها إلى اثنتي عشرة وحدة إدارية تعرف باسم Diocesis ، كما تم تقسيم هذه الولايات والأقسام إلى وحدات صغيرة تبلغ المائة.

4-إدماج البلديات في الحكومة من أجل مركزية القرار[1].

التنظيم الحربي في عهد الإمبراطور دقلديانوس:

-إدخال أبناء الجند في الخدمة العسكرية، أي وراثة آبائهم في الجندية.

-إدماج كل الصالحين للجندية والذين لا ينتمون لطائفة (نقابة) ملتزمة نحو الحكومة أو البلدية.

-كل الأفراد الذين لا يملكون مأوى ولا أراضي صالحة للزراعة.

-التزام ملاك الأراضي بتقديم الجنود للدولة[2].

إصلاح النظم المالية والضرائب:

- من أعماله في الجانب الاقتصادي أعاد ضرب العملة الذهبية والفضية، وقد لقي ذلك نجاحا[3]، إذ أنها حازت على ثقة التجار والمتعاملين[4].

-تسجيل كل الأراضي الزراعية الموجودة داخل الإمبراطورية، وتقرير الضرائب عليها بصورة عادلة.

-تحديد كمية السلع المتداولة والتي تعرض للبيع.

---

[1] السيد الباز العريني، المرجع السابق، ص ص.37-39.

[2] السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص.40.

[3] هـ. سانت، ل.ب، موس، ميلاد العصور الوسطى 395-814، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص ص.26-27.

[4] سعيد عاشور عبد الفتاح ، تاريخ أوربا، ص.23.

-تسعير الحاجات الأساسية والأجور.

وعلى الرغم من تلك الإصلاحات، إلا أنها جاءت متأخرة، نتيجة الوهن الذي ضرب الدولة خلال القرن الثالث الميلادي[1].

الإمبراطور قسطنطين Constantin (305 – 337م)

بعد أن اعتزل كل من دقلديانوس ومكسيميان الحكم آل الحكم إلى نائبيهما، إلا أن ذلك لم ينجح في تسيير أمور الإمبراطورية، إذ تعدد أقطاب الحكم فيها، وأصبح ستة أباطرة يحكمون الدولة الرومانية، ونشبت حرب أهلية ولم تنته حتى سنة 324م، وأصبح قسطنطين السيد الأوحد في حكم الإمبراطورية الرومانية. ونتيجة لبعد نظره بادر بالتعاطف مع المسيحيين، لأنه أدرك أن الانتصار لهم لا محالة، وفي سنة 313م اصدر مرسوما يعترف فيه بالمسيحية، كما فعل قبله جاليريوس سنة 311م، بتسامحه مع المسيحيين[2]. ويقول تيموثي بارنز Timothy Barnes:" في شتاء سنة313/312م بدأ قسطنطين في منح امتيازات لرجال الدين المسيحيين، ورفع مكانة الكنيسة المسيحية في المجتمع الروماني"[3]، وبذلك يكون قسطنطين قد اعترف بالدين المسيحي ومعتنقيه داخل الإمبراطورية. كما أنه في مجمع نيقية سنة 325م أعاد النظر في بدعة أريوس Arius التي أُعتبرت هرطقة، بل حتى

---

[1] سعيد عاشور عبد الفتاح ، تاريخ أوربا، ص.23.

[2] إسحق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في مدينة الله ، دار المعارف ، القاهرة ، 1972، ص ص.52-57. للمزيد عن ذلك الاعتراف، أنظر: محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ص.65-68. وعن اعتزال الإمبراطور دقلديانوس الحكم، انظر: ادوارد جيبون، المرجع السابق، ص ص.116-221.

[3] أنظر: Timothy Barnes, Constantine, Blackwell Publishing, U.K., Fst E^{d}, 2014, P.84.؛ وللمزيد من التفاصيل عن التسامح الديني للإمبراطور قسطنطين مع المسيحيين، أنظر: Charles Matson Odahl, Constantine and the Christian Empire, Routledge, London, N.Y., Fst E^{d}, 2004,P.9.

الذين يعتنقونها يُعتبرون هراطقة، علما أن قسطنطين لم يقبل بالتعميد إلا وهو على فراش الموت، وكان ذلك في 22 من شهر ماي سنة 337م[1].

تشريعات وقوانين وإصلاحات الإمبراطور قسطنطين

لقد كانت نظرة الإمبراطور قسطنطين لأفراد المجتمع نظرة احترام، إذ كان من أولوياته أن لا تتشرد الأسر العاملة في ضياع الدولة بعد بيعها، كما يسلط العقاب على السيد الذي يعامل العبيد بقسوة، وبهذا يكون قد فتح آفاقا لأفراد المجتمع بأن يتوقون لحياة أفضل. كما كانت له قوانين لصالح الفقراء والمنكوبين من الفلاحين ومن يعمل معهم في أراضيهم، فضلا عن إصداره مرسوما يحمي بموجبه الأبناء الذين يفقدون أمهاتهم من جشع الآباء، بل يحرمهم منهم في حالة إهمال تربيتهم. هذا بالإضافة إلى العقوبات القاسية على جرائم الاغتصاب، على أن يحاكم مرتكب الجريمة في الولاية الموجود بها لا في موطنه الأصلي، وكذلك تحديد يوم للراحة أسبوعيا، وحد من المبارزات الدامية المعروفة من قبل[2]. وفي سنة 325م قام الإمبراطور بحظر هذه المبارزات[3]، فضلا عن أوامره بمعاملة السجناء بالحسنى، والهدف من كل ما قام به الإمبراطور النهوض بالدولة والمحافظة على وحدتها[4]. ومن إصلاحاته عسكريا أن تقوم القوات الإقليمية المجندة حديثا بحماية حدود الإمبراطورية، وفي الوقت نفسه الاحتفاظ بجيوش صغيرة مدربة ومتنقلة، وقد تشكلت قواته من رماة السهام

[1] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية 284-1453، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2013، ص ص.40، 50.

[2] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص.49.

[3] أنظر: Raymond Van Dam, the Roman Revolution of Constantine, Cambridge University Press, N.Y., 2008, P.33.

[4] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص.49.

والرماح والفرسان، وعلى رأس قواته هناك قائدين أحدهما قائد للمشاة والثاني لقيادة الفرسان، لهما سلطات واسعة على حكام الولايات وكل الموظفين العسكريين[1].

الإمبراطورية الرومانية بعد قسطنطين

عقب وفاة الإمبراطور، تمكن ابنه قنسطنطيوس من الاحتفاظ بالعرش الإمبراطوري بعد أن تخلص من منافسيه من إخوته، وجعل يوليان Julien قيصرا سنة 355م، وكان من أبرز القادة العسكريين وذا كفاءة في مواجهة القبائل الجرمانية. وكاد النزاع يندلع بين الإمبراطور وقيصره، إلا أن المنية عجلت بوفاة قنسطنطيوس، فأصبح يوليان إمبراطورا سنة 361م، الذي تميز بحياة البساطة والتقشف بعيدا عن الترف، له فلسفته في الحياة. وقد كان يوليان يكره المسيحية، ويبجل الوثنية عنها، كما أنه أخذ الامتيازات من رجال الدين، ووهبها مرة أخرى لكهنة المعابد الوثنية. ومن مراسيمه حرمان تعليم أبناء المسيحيين العلوم اليونانية، لأنهم كانوا رافضين دخول المدارس الوثنية، ومبرره في ذلك أنه لا يحق لمن يعتنقون المسيحية الساذجة أن يتعلموا العلوم الجليلة كالآداب والفلسفة اليونانية. ولما تولى الإمبراطور ثيودوسيوس Theodosius (378-395م) عرش الإمبراطورية، أصدر أوامره بغلق معابد الوثنية وتحطيم أوثانها ومصادرة أملاك الوثنيين، وبهذا ستعود الكفة لصالح المسيحية، بل ستصبح دينا رسميا للإمبراطورية[2].

أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية:

يمكن حصر الأسباب التي عجلت بانهيار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها في:

أسباب داخلية ومنها: سوء أوضاع الجيش وظهور الحركات الانفصالية، بالإضافة إلى سوء الأوضاع الاقتصادية. أما أسبابها الخارجية فتتمثل في: تزايد الخطر الفارسي من الجهة

---

[1] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص.50.

[2] للمزيد من التفاصيل عن الصراع السياسي والديني في الإمبراطورية بعد قسطنطين، أنظر: إسحق عبيد، الإمبراطورية الرومانية، ص ص.61-79.

الشرقية، الذي ألحق بالإمبراطورية هزائم متتالية، كما أن هناك خطرا آخر لا يقل أهمية عن سابقه، والمتمثل في خطر البرابرة على جبهتي الدانوب والراين، إذ عجزت الإمبراطورية عن صد هجمات هؤلاء، كما عجزت عن توفير الأمن لمواطنيها، خاصة في المناطق الحدودية[1].

المحاضرة الرابعة

الإمبراطورية الرومانية والمسيحية

المعتقدات الدينية وتطورها عند الرومان:

انتشرت الوثنية بين الرومان، والتي لم يكن لها تأثير في نفوس معتنقيها، بالرغم من تقديم القرابين لهذه الإلهة، وكان مبتغاهم في ذلك تحقيق مصالحهم الدنيوية لا غير، حتى أن الرموز الوثنية الأخرى التي وجدت في أنحاء الإمبراطورية مثل غاليا وبريطانيا، كانت هي الأخرى رموزا شكلية لا أثر ديني لها في نفوس معتقديها. وفي هذا الفراغ الروحي توجه سكان الإمبراطورية إلى معتقدات أجنبية لعلهم يجدون مرادهم في ذلك، وخاصة المستوردة من الشرق مثل عبادة سيبل Cybele من آسيا الصغرى، وميثراس Mithras من بلاد فارس، وايزيس من مصر[2]، بل توجهت العبادة الرومانية إلى تقديس الأباطرة وعبادتهم إلى جانب عبادة الآلهة مثل جوبيتر ويونو ومينرفا، بل هناك من اعتقد بأفكار الرواقيين، وما

[1] محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوربا، ص ص.31-32.

[2] عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص.ص.30-31.

تنطوي عليه من أخلاق سامية، وإيمان بكل الآلهة[1]، إلى أن ظهرت المسيحية وانتشرت بين أبناء الإمبراطورية وتزايد معتنقوها[2].

لقد ولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ببيت لحم جنوب القدس، في عهد الإمبراطور أغسطس Augustus (27ق.م-14م)[3]، والحقيقة لا علاقة بين الديانة الجديدة والديانات الأخرى، لأن قصة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فاقت كل القصص الديني في تلك الفترة، إذ أن تعاليمه مستقاة من الكتاب المقدس يمكن أن يفهمه ويتأثر به العامة والخاصة، عكس الفلسفة اليونانية التي لا يمكن أن يفهمها إلا المثقفون ذوي الفكر. فالمسيحية دينا سماويا لم تختص بفئة معينة أو فريقا دون الآخر، وبذلك كان سر انتشارها وتفوقها على العقائد المعاصرة لها[4]. هذه الديانة السماوية الجديدة التي أسقطت الفوارق بين العبيد والأحرار والأغنياء والفقراء، بل بشرتهم بالخلاص من دولة الأغلال والطغيان[5]. ويرجع الفضل في العصر الأول للمسيحية إلى القديس بولس Saint Paul، حيث قام هذا الأخير بتنظيم المجتمعات المسيحية الأولى، وذلك بوضع قواعد اللاّهوت[6]، وما يرتبط به من فلسفة المسيحية المتعلقة بالأخلاق والآخرة، كالموت والبعث والحساب والخلود، بالإضافة إلى جهوده في وضع دعائم الكنيسة الكاثوليكية. وأخذت المسيحية في الانتشار شيئا فشيئا، ولم يكد ينتهي القرن الأول، إلا وأصبحت كل ولاية رومانية مطلة على البحر الأبيض

---

[1] السيد الباز العريني، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ص ص.21-22.

[2] عاشور عبد الفتاح، تاريخ أوربا، ص ص.30-31.

[3] محمود محمّد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط.3، 1995، دار المعارف، الإسكندرية، ص. 58.

[4] عاشور عبد الفتاح، تاريخ أوربا، ص.31.

[5] إسحاق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، ص.28.

[6] علم المعتقد المسيحي، يعتمد على الوحي والعقل، من أجل إيجاد مذهب محكم بناءً على المعطيات الإيمانية عكس ما تعتمده الفلسفة على العقل وحده، علما أن هناك أسرارا لا يدرك العقل جوهرها، في حين أن اللاّهوت بمقدوره تفسير ذلك. وللمزيد عن فكرة اللاّهوت، أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، ط.3، 2009، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص.2846.

المتوسط تضم مجموعة مسيحية، بل في روما نفسها في وقت مبكر من سنة 64م، مما جعل الإمبراطور نيرون Neron (54-68م) ينتقم من المسيحيين ويضطهدهم[1].

-عوامل انتشار المسيحية في مختلف أرجاء الإمبراطورية:

كانت أوضاع الإمبراطورية حينها أكبر مساعد على انتشار المسيحية، ويمكن حصر هذه العوامل في عدة نقاط منها:

- وجود شبكة واسعة من الطرق الضخمة التي ربطت بين أرجاء الإمبراطورية.
- الأمن والسلام اللذان سادا في ربوع الإمبراطورية.
- نشاط حركة التبادل التجاري بين مختلف الولايات الرومانية.
- سيادة اللغة اليونانية في الشرق واللاّتينية في الغرب، مما جعل من السهل انتقال الأفكار والمعتقدات بين مختلف أرجاء الإمبراطورية[2].

لقد كان دعاة المسيحية الأوائل يحثون أتباعهم على الزهد في الدنيا، ومنهم ترتوليان Tertullian(ولد حوالي سنة 150م)، الذي كان يحث المسيحيين على الابتعاد عن الدنيا، ويرفض التجنيد في صفوف الجيش الروماني، اعتقادا منه أنها إمبراطورية آثمة، كما جهر بعض رجال الجيش المسيحيين بالعصيان والامتناع عن تأدية خدمتهم العسكرية[3].

-رد فعل الأباطرة تجاه معتنقي المسيحية:

لقد كان أتباع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من البؤساء والفقراء والبسطاء في المجتمع، لذا لم يعرهم الحكام أي اهتمام واعتبروهم مثل سابقيهم من اليهود، ولكن بعدما تبين أن هؤلاء كانوا رافضين لعبادة آلهة الرومان، هناك ساور الشك الأباطرة في أن هذه

---

[1] عاشور عبد الفتاح، تاريخ أوربا، ص.31.

[2] سعيد عبد الفتّاح عاشور، تاريخ أوربا، ص. 32؛ محمود محمّد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط.3، 1995، دار المعارف، الإسكندرية، ص. 58.

[3] إسحاق عبيد، الإمبراطورية الرومانية، ص ص.29-30.

الفئة من ورائها أمر عجب[1]. وكان رد فعلهم قاسيا تجاه هذه المجموعات والانتقام منهم، وتقديم الكثير منهم كغذاء للأسود الجائعة، وذلك لم يزد الجماعات المسيحية، إلا صلابة وتفاخرا بالشهادة. وبالرغم من المبالغة في عدد القتلى، إلا أن هناك اضطهادا شهده المسيحيون منذ القرن الأول في عهد نيرون إلى بداية القرن الرابع في عهد حكم دقلديانوس[2].

وبالرغم من الاضطهاد المسلط على رقاب المسيحيين طيلة عقود من الزمن، لم يمنعهم من ممارسة عقيدتهم، لأن روح الشجاعة والصبر والإيمان لشهداء المسيحية زادهم إعجابا وإقبالا على المسيحية. وبهذا أصبحت الديانة الجديدة أمرا واقعا فرض نفسه على الأباطرة والقبول به، وهذا ما أدى بالإمبراطور قسطنطين الاعتراف بالمسيحية في مرسوم ميلان سنة 313م كإحدى الشرائع المصرح بها داخل الإمبراطورية، وتمتع أصحابها بحقوقهم مثلما لأصحاب الشرائع الأخرى[3]. واختلف كثير من المؤرخين حول قسطنطين وإصداره مرسوم ميلان، هل كان ذلك من عقيدة صادقة وإيمان مسيحي، أو أنه مجرد إجراء سياسي لتحقيق مآرب دنيوية خاصة؟[4].

ومهما اختلفت الآراء بين مؤيد ومعارض، فإن أجراءه الذي قام به تجاه المسيحيين، لا يخلو من سياسة حكيمة لصالح الإمبراطورية، كما لا يطرح الشك في عقيدته المسيحية[5]، خاصة وأنه رضي بالتعميد وهو على فراش الموت سنة 337م[6].

---

[1] إسحاق عبيد، الإمبراطورية الرومانية، ص.ص.28-31.

[2] إسحاق عبيد، المرجع نفسه، ص.30.

[3] عاشور عبد الفتاح، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص ص.35-36.

[4] عاشور عبد الفتاح، المرجع نفسه، ص ص.36-37.

[5]) عاشور، المرجع نفسه، ص.37.

[6]) جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية 284-1453، ص.50

المذهبية في المسيحية في القرون الأولى

بعد أن انتشرت المسيحية وأصبح أتباعها ظاهرين للعيان، هناك ظهرت المذهبية فيها وهذا من خلال ما دعا إليه القس السكندري آريوس، حيث كانت تعاليمه تنص على أن المسيح الابن أقل من الأب في الجوهر، بل أن المسيح نفسه مثل سائر البشر، وقد نوقشت هذه الأفكار في مجمع نيقية سنة 325م برئاسة الإمبراطور قسطنطين، حينها برزت في المجمع شخصية أثناسيوس Athanasius السكندري مقدما حجته فتم دحض آراء آريوس، بل اتهموه بالهرطقة، "لأن أُلوهية المسيح هي أملهم الوحيد الذي يربطهم بالله الأب"[1].

غير أنه في سنة 334م تم عقد مجمع ديني في صور ألغى قرارات مجمع نيقية وعفا عن آريوس وأتباعه، بالمقابل أدان أثناسيوس ونفيه إلى تريف Trèves في غاليا وظل هناك إلى أن أُطلق سراحه في عهد جوليان المرتد[2]. وفي سنة381م تم عقد مجمع القسطنطينية في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس لمناقشة آراء ماسيدونيوس Macedonius، التي تقول بأن الروح القدس أقل من الأب والابن في الجوهر، أي أن هذه النظرية لها نفس التهديد الذي هدد به آريوس نظرية التثليث، ولذلك جدد المؤتمرون قانون الإيمان بمجمع نيقية، "وأكدوا أُلوهية الروح القدس"، واستقرت مسألة الثالوث بعد مجمع القسطنطينية. غير أن الكنيسة اللاّتينية قد أضافت عبارة تقول:"انبثاق الروح القدس من الابن أيضا"، وهذه العبارة الجديدة على قانون الإيمان ظهرت لأول مرة في اسبانيا في مؤتمر طليطلة سنة 589م، بعد ذلك تبنتها الكنيسة الفرنجية. وقد كان لذلك آثارا خطيرة في تعميق الخلافات بين الكنيسة الشرقية وكنيسة روما، وكانت نتيجته حدوث الانشقاق بينهما، كما تم في مجمع القسطنطينية رفع مكانة كنيسة بيزنطة إلى الرتبة الثانية بعد كنيسة روما. وبالقانون الثالث جعل كنيسة

[1] إسحق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، ص.83.

[2] عاشور، تاريخ أوربا، ص.41.

القسطنطينية قبل كنيسة الإسكندرية، وأصبح أسقف بيزنطة مساوٍ لأسقف روما في المكانة، لأن القسطنطينية هي روما الجديدة. ومن خلال ما تم الاتفاق عليه في المجامع وخاصة الثالث، وما نص عنه في رفع مكانة كنيسة بيزنطة، قد أدخل هذه الكنائس في صراع، بل تم عقد مجامع أخرى مثل المجمع الثالث في أفيسوس سنة 431م، والمجمع الرابع في خلقيدونية سنة 451م[1]، وكل هذه المجامع تناقش المسائل اللاّهوتية والإيمان المسيحي.

صحوة الوثنية واندثارها تدريجيا:

عرفنا بأن الإمبراطور قسطنطين كان يقف موقف وسط، ولم يرض بالتعميد إلا سنة 337م، غير أن أبناءه أعلنوا عداءهم للوثنية، بل شنوا حملة اضطهاد ضدها وصادروا أملاكها، وما إن حلت سنة 340م، حتى مُنع تقديم القرابين للآلهة، بعد ذلك أُغلقت معابدها.

وبمجيء الإمبراطور جوليان الملقب بالمرتد (361-363م)، عادت للوثنية صحوتها، حيث فُتحت معابدها وعادت للوثنيين هيبتهم، غير أننا لا ننكر بأن جوليان غير متعصب ضد المسيحية، لأنه نفسه كان يمتدح مبادئها مثل الإحسان والرحمة والعطف على الفقراء والمرضى، حتى أنه كتب إلى أحد الكهنة الوثنيين يخبره "بأن الوثنية تفتقر إلى مثل هذه الخصال الحميدة"[2]، لكن تلك الصحوة لم تدم طويلا، إذ أنه بمجيء الإمبراطور جوفيان Jovien (363-364م) استرد المسيحيون امتيازاتهم. وفي عهد الإمبراطور جراتيان Gratien (375-383م)، الذي تخلى عن لقب الكاهن الأعظم، وقام سنة 382م بمصادرة أملاك الوثنيين، غير أن الوثنية استمرت في الغرب حتى أواخر القرن الرابع الميلادي، ولكن بمجيء الإمبراطور ثيودوسيوس الذي نجح في توحيد العالم الروماني سنة 394م، كان قد خاض حربا ضد الوثنيين، كما قام ابنه أركاديوس (395-408م) بتهديم

[1] إسحق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، ص ص.83-90.

[2] عاشور، تاريخ أوربا، ص ص.43-44.

المعابد الوثنية، واستعمال أحجارها في المباني العامة، وبقيت الوثنية في عزلة تامة في ايطاليا وغاليا حتى القرن السادس الميلادي، إلى أن أقام القديس بندكت Saint Benedict ببناء ديره على أنقاض معبد أبوللو في مونت كاسينو Monte Cassino سنة 529م، كما أغلق الإمبراطور جستينيان مدارس الفلسفة في أثينا باعتبارها ركيزة من ركائز الوثنية[1].

- ظهور الكنيسة وتنظيمها:

لم يكن لمعتنقي المسيحية الأوائل كنائس يؤدون فيها عبادتهم، خوفا من بطش الرومان، إذ أنهم كانوا "يلجأون إلى الكهوف وجحور الأرض يمارسون طقوسهم الدينية وينشدون أدعيتهم"[2]، غير أنه على ما يبدو أصبحت لهم كنائس وتوسعوا في بنائها بعد مرسوم ميلان سنة 313م، الذي من خلاله تسامح الإمبراطور قسطنطين معهم لممارسة طقوسهم الدينية[3]. كما أن الكنيسة في المعتقد المسيحي أولويتها لا تختلف عن المعتقد نفسه، إذ أنهم يستندون -حسب ما يعتقدون- إلى قول المسيح عليه السلام للقديس بطرس" وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها"[4]. على رأسها البابا الذي يستمد سيادته من خلافته لبطرس في كرسيه الأسقفي بروما[5]، ويأتي بعده في الرتبة الكاردينال[6]. هذا بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية، أما في الشرق فنجد البطريرك على رأس الكنيسة الأرثوذكسية[7]، ومن جهة تنظيم الكنيسة الغربية فقد انقسمت إلى

---

[1] عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص ص. 43-45.

[2] إسحاق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، ص.30.

[3] للمزيد أنظر: Kevin Madigan, Medieval Christianity, a new history,Yale University Press, New Haven and London, 2015, P.437.

[4] عاشور، أوربا العصور الوسطى، النظم والحضارة، ج.2، مكتبة النهضة المصرية، 1959، القاهرة، ص ص. 1-2.

[5] عاشور، المرجع نفسه، ج.2، ص.1.

[6] عاشور، المرجع نفسه، ج.2، ص.19.

[7] للمزيد عن ذلك أنظر: Margaret Deanesly, A history of médiéval Church,590-1500, Routledge, London, N.Y., 2005, PP.4, 6.

أسقفيات، يديرها الأساقفة وبدورها تم تقسيم الأسقفيات إلى أبرشيات يشرف على إدارتها القساوسة[1].

وإذا ما نظرنا إلى العلاقة بين الكنيسة والدولة في الشرق نجد أن الأباطرة فرضوا سلطانهم على الكنيسة، وأصبح ما يعرف بالقيصرية البابوية، أي أن الإمبراطور هو السيد الحقيقي لكل من الكنيسة والدولة. وأما في الغرب اللاّتيني فقد بدأت الكنيسة تفرض سيطرتها، منذ القرن الخامس الميلادي لأن الإمبراطورية بدأت تتداعى خاصة مع زحف القبائل الجرمانية، وبدأت الكنيسة تفرض وجودها واستقلالها عن الدولة شيئا فشيئا، وبهذا لم تندمج الكنيسة والدولة في العصور الوسطى إطلاقا، وظل بينهما صراع محتدم[2].

.....

المحاضرة الخامسة

غزوات البرابرة الجرمان (الجزء الأول)

شهد الغرب اللاّتيني هجرات القبائل البربرية، وخاصة العنصر الجرماني الذي كان له بالغ الأثر على مصير أوربا، خاصة وأن هذه الأخيرة كانت معظم أقاليمها تحت السيطرة الرومانية، فبقدر ما كان لهذا الغزو من آثار سلبية، بقدر ما كان له دور كبير في تشكيل كيانات سياسية أوربية.

[1] عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص.19.

[2] س. ورن هلستر، أوربا في العصور الوسطى، ترجمه محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ص.44-45.

1-تعريف مصطلح بربرية:

أطلق اليونانيون مصطلح البربري على الأجنبي، وأخذه الرومان عنهم، غير أن مدلوله استعملوه للتقليل من مكانة هؤلاء واحتقارهم، وأُطلق هذا الاسم على الجرمان. وفي الحقيقة، هذا المصطلح لا يرادف لفظ الهمجية والوحشية، لأن المقصود بذلك المصطلح هو نوع من التنظيم الاجتماعي القلبي الذي لم يصل بعد إلى مرحلة الاستقرار وإقامة كيان، ويعتمد في أساسه على رابطة الدم أكثر من اعتماده على رابطة المواطنة بين الأفراد. غير أنه لا يمكن أن تتهم الشعوب التي أحاطت بالإمبراطورية الرومانية بأنها تفتقر إلى الدعائم الحضارية، فحقيقة هذه القبائل تتمتع بتقاليدها الحضارية[1].

كما أن الرومان أطلقوا اسم الجرمان Germani على كل هذه الشعوب، وفي الواقع كانت هناك قبيلة واحدة تقطن وراء الحدود الرومانية، وهناك قبيلة أخرى تسمى الألماني Allemani، وهذه الكلمة أصبحت في المصطلحات الفرنسية والاسبانية تدل على الألمان، بينما الجرمان يُطلقون على أنفسهم الكلمة التي أصبحت أساسا للفظي دويتش Deutsch وتيوتون Teuton الحديثتين، ولفظ تيوت Theut تعني "الشعب"[2].

وبخصوص الشعوب التي أحاطت بالإمبراطورية الرومانية فقد كانت كثيرة ومختلفة، ففي الجنوب كان البربر في غرب أفريقيا، وفي الجنوب الشرقي كان العرب، بينما في الشرق نجد الفرس، وفي الشمال الشرقي كانت هناك قبائل آسيوية رعوية كالسكيثيين Skythians والسارماتيين Sarmatians والهون والبلغار والآفار والمجريين والمغول والأتراك، وإلى جهة الغرب تجد السلاف والجرمان والكلت[3].

---

[1] نورمان ف. كانتور، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط.5، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ج.1، ص.146؛ عاشور، تاريخ أوربا، ص.55

[2] نورمان كانتور، المرجع نفسه، ج.1، ص.146.

[3] عاشور، تاريخ أوربا، ص.55.

2-الجرمان:

كان العنصر الجرماني أو التيوتوني أقرب العناصر البربرية إلى حدود الإمبراطورية الرومانية، وقد كان انتشارهم في القرنين الأول والثاني الميلاديين، في أواسط وشرق أوربا، وأما بخصوص موطنهم الأول فقد كان الجرمان يقيمون في المناطق المحيطة ببحر البلطيق. تحركوا جنوبا وحلوا محل الكلتيين إلى أن استقروا بالمناطق الواقعة بين نهري الألب والراين[1]، ولقد كان العنصر الجرماني أكثر تأثيرا على مجرى التاريخ، حينما غلب هذا العنصر على الدولة الرومانية، ومن بين فروع الجرمان نجد القوط والأنجليز والسكسون والفرنجة[2]. ومن ما تميز به الجرمان أن الفرد يشكل محور الحياة، وعلى أساس قوته وسطوته كانت أهميته ونفوذه، ومن أخلاق الجرمان تجد الشجاعة والقسوة والكرم وعدم مراعاة أصول الجيرة، كما كان لهم احترام للعهود وتماسك بين أبناء الأسرة ورعاية المرأة، وكان الجرمان مولعين بالمقامرة والميسر[3].

-الحياة الاجتماعية والدينية عند الجرمان:

لقد شكلت الأسرة وحدة النظام القبلي لدى الجرمان في بادئ الأمر، حيث كان للأب سلطة ونفوذا على زوجته وأبنائه، ومن هذه الأسر تألفت العشيرة التي تربطها صلة الدم، ولقد كانت للأفراد مسؤولية مشتركة في حالة ارتكاب احد أفراها جريمة، وفي حالة القتل لابد من أخذ الثأر إلا إذا قدم فدية عن ذلك. وكان لهم عناية كبيرة برباط الزوجية، وعادة ما يكتفي الفرد الجرماني بزوجة واحدة، حتى وإن كان بعض أفراد الجرمان قد خرجوا عن هذا التقليد[4].

---

[1] عاشور، تاريخ أوربا، ص.58.

[2]) هربرت فيشر، المرجع السّابق، ق. 1، ص ص. 15-16.

[3]) عاشور، تاريخ أوربا، ص ص.58-59.

[4]) عاشور، المرجع نفسه، ص.59.

وبشأن مكانة الزوجة في المجتمع الجرماني يقول تاكيتوس:" أكثر من هذا يعتقد الجرمان أن في النساء عنصرا من القداسة والنبوة، ومن ثم لا يشعرون بغضاضة إذا ما التمسوا منهن النصح"[1]. وفيما يخص طبقات المجتمع فقد كان هناك ثلاث طبقات وهي النبلاء والأحرار والعبيد، فالنبلاء شكلوا الطبقة المحاربة لها امتيازاتها، بينما الأعمال الفلاحية والأعمال المنزلية فقد قام بها النساء والأولاد والعبيد، بينما الأحرار من غير النبلاء لم يكونوا بأحسن حال من العبيد، لأن الحرية وملكية الأرض كانتا متلازمتين، وثانيا أن النبالة ارتبطت بشرف المولد والوراثة لا بملكية الأرض. لقد عاش الجرمان في قرى متناثرة في وسط الغابات مادتها من الأخشاب والطين، لباسهم من جلود الحيوانات، يرسلون شعر رؤوسهم ولحاهم، غير أن هناك من الرجال من ربطوا شعرهم على شكل ضفائر معقودة فوق رؤوسهم، كان طعامهم اللبن والفاكهة والحبوب ولحوم الصيد، ولم يتعلموا النبيذ إلا عندما اتصلوا بالرومان، أما شرابهم المفضل فقد كانوا يصنعونه من الحنطة أو الشعير فهو أقرب إلى الجعة. وقد كان لكل قرية جميعة أو مجلس يتشكل من أحرارها، وتمثلت ثروتهم في الخيول والمواشي وغيرها من الحيوانات الأليفة، وعليها اعتمدوا في عملية التبادل والمعاملة[2].

وبخصوص ديانتهم فقد كانت مزيجا من الأساطير وعبادة القوى الطبيعية، كالشمس والقمر والرعد، غير أنهم لم يبنوا معابد أو ينحتوا تماثيل لآلهتهم، كما أن كهنتهم لم يشكلوا طبقة تميزهم في المجتمع[3]. وبشأن عبادة الآلهة يقول تاكيتوس:"وإلههم الرئيسي الذي يتوجهون له بالعبادة هو عطارد...يقدمون له القرابين حتى من الضحايا البشرية، وأما الإلهين هرقل ومارس فقرابينهما من الحيوانات، بينما هناك فريق من قبيلة السويف Suevie يقدمون القرابين إلى الإلهة ايزيس، ولعل عبادتها مستوردة من الخارج، وفي نظر

[1]) تاكيتوس، جرمانيا، ترجمة: تاكيتوس ، جرمانيا ، ترجمة إبراهيم علي طرخان ، القاهرة ، 1959، ص.54.

[2]) عاشور، تاريخ أوربا، ص ص.59-60.

[3]) عاشور، المرجع نفسه، ص.59.

الجرمان ليس من المناسب لعظمة الكائنات السماوية أن تبقى حبيسة بين الجدران أو أن تمثل بأي شكل يشبه الصورة البشرية، لذا كانت معابدها المقدسة الغابات والأحراش"[1].

أسباب غزو الجرمان لأراضي الإمبراطورية الرومانية:

لا شك أن هناك أسبابا دفعت بالقبائل الجرمانية إلى التحرك صوب حدود الإمبراطورية الرومانية، والتغلغل داخل أراضيها لعلهم بذلك يحققون رغبتهم، ومن جملة الأسباب: تزايد التعداد السكاني لهذه القبائل، ولم تجد ما يسد حاجتها في أراضيها الزراعية، بالإضافة أن أفراد الجرمان يميلون إلى حب المغامرة وعدم الاستقرار، كما أن هناك عاملا آخر له تأثيره في ذلك وهو عامل المناخ الذي كان يستهويهم من زمن بعيد، فضلا عن المدنية الرومانية وما وصلت إليه من تطور ورقي، كان لها الأثر البالغ في اجتذابهم داخل أراضي الإمبراطورية، كما أن هناك ضغطا كبيرا سُلط على الجرمان من القبائل الرعوية في وسط آسيا، مما جعلهم يتوجهون غربا، بحثا عن ملاذ آمن بعيد عن القبائل الآسيوية الشرسة[2].

- بدايات تحرك القبائل الجرمانية:

يرجع أول احتكاك للقبائل الجرمانية بالرومان إلى أواخر عهد الجمهورية الرومانية، وكانت هذه الهجمة على يد عنصرين هما الكمبريون والتيوتون، حيث طلبوا من قادة الرومان مكانا يستقرون فيه، وطبعا كان تحرك هذه القبائل تحت ضغط القبائل الكلتية، وتمكنوا من غزو غاليا وايطاليا سنة 106 قبل الميلاد، ولكن الرومان تصدوا لذلك الغزو، حيث أوقع القائد الروماني ماريوس Marius الهزيمة بالتيوتون سنة 103 قبل الميلاد، في معركة أكس Aix ، بينما أوقع بالكمبريين في معركة فرسي Verciel سنة 101 قبل الميلاد[3].

---

[1] تاكيتوس، المصدر السابق، ص.55.

[2] إبراهيم علي طرخان، دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958، ص ص.21-22. للمزيد عن أسباب الغزو الجرماني للإمبراطورية الرومانية، انظر: ل.م. هارتمان، ج. باراكلاف، الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة: جوزيف نسيم يوسف، 1970، دار المعارف بمصر، ص ص .16-17.

[3] إبراهيم علي طرخان، دولة القوط الغربيين، ص ص.22-24.

غير أن الخطر الجرماني لم ينته بانتصار ماريوس على هؤلاء الأقوام، إذ جاءت موجة جرمانية أخرى قام بها السوابيون Souabes ، خلال القرن الأول قبل الميلاد، وفي سنة 61 قبل الميلاد استقرت قبيلة سوابية على الضفة اليسرى لنهر الراين وأصبحت تهدد بلاد الغال، وبانتصار يوليوس قيصر على هؤلاء في منطقة الألزاس العليا سنة 58 قبل الميلاد، يكون قد حرر بلاد الغال من خطر العنصر الجرماني المتمثل في السوابيين. وفي سنة 38 قبل الميلاد تمكن أجريبا Agrippa، من إقامة حاميات رومانية على الضفة اليسرى من نهر الراين، وبهذا بدأت العناصر الجرمانية المجاورة تتأثر بمظاهر الحضارة الرومانية[1].

وبالرغم من محاولة الرومان حماية حدودهم الشمالية، إلا أن القبائل الجرمانية ازداد خطرها يوما بعد يوم، إذ تمكن الجرمان من دحر جيوش الإمبراطورية في عهد أغسطس، حيث قام زعيم الجرمان أرمينوس Arminus، بإلحاق الرومان خسائر فادحة في العدة والعتاد، إذ أُبيدت ثلاث فرق رومانية بقيادة فاروس Varus في غابة تيتو بورغ Teutobeurg سنة 9 للميلاد[2].

وبعد حكم الإمبراطور أغسطس تأرجحت سياسة الرومان تجاه القبائل الجرمانية بين الشدة واللّين، إذ سمحت لبعض القبائل بالمتاجرة معها، كما قربت إليها بعض الأسر الكبيرة من الجرمان، غير أن هؤلاء لم يزل طمعهم في ثروات الدولة الرومانية، لذا رأى الإمبراطور تراجان(98-117م) من الضروري دك حصون الجرمان وتأمين حدود الإمبراطورية.

فقام سنة 100م بالتوسع على حساب منطقة داكيا (رومانيا حاليا)، فأصبحت هذه المنطقة خط دفاعي، بل حصنا منيعا في قلب العالم البربري، وسرعان ما تأثر هؤلاء بالحضارة الرومانية، في حين اكتفى الإمبراطور هادريانوس Haderianus (117-139م) بإقامة خطوط دفاعية ضد هؤلاء الجرمان، لكن الإمبراطور ماركوس أوريليوس Marcus

[1] إبراهيم علي طرخان، دولة القوط، ص ص.24-25.

[2] إبراهيم علي طرخان، المرجع نفسه، ص.27.

Aurelius (169–177م) لم تعجبه هذه الإجراءات منفردا بالحكم أو مع ابنه كومودوس Commodus (177–180م)، إذ أنه حارب الجرمان بكل ما أوتي من قوة، لكن على ما يبدو أن تدفق الهجرات الجرمانية لم يتوقف، وبرزت مرة أخرى من جهة نهر الدانوب، وكل ذلك يقلل من حظوظ الرومان في مقاومة هؤلاء[1].

وفي منتصف القرن الثالث للميلاد تمكنت قبائل فرنجية من تحطيم الدفاعات في الراين، وعبرت إلى غالة ومنها إلى اسبانيا، كما قام القوط بتهديد الإمبراطورية سنة 269م، لكن الرومان أوقعوا بهم الهزيمة، لكن الخطر الأشد في القرن الثالث عن الدولة هو العنصر الفرنجي والألماني، وبالرغم من ذلك لم يتوان الأباطرة الرومان في مواجهة هؤلاء. ولكن هناك خطر جاثم على جبهة الدانوب تمثل في العنصر القوطي، إذ انتشر هؤلاء في منطقة داكيا، فحاول الأباطرة الرومان السيطرة على هذا العنصر، وبموجب اتفاق سنة 332م أصبحوا معاهدين للرومان، ومنها انتشرت المسيحية بين القوط على المذهب الآريوسي[2].

وبتواجد القوط في منطقة داكيا واعتناقهم المسيحية وتأثرهم بمظاهر الحضارة الرومانية، يكون ذلك قد آذن بميلاد مملكة جرمانية داخل حدود الإمبراطورية الرومانية، حيث تطورت العلاقات وصاحبها استقرار الجرمان داخل حدود الإمبراطورية كمزارعين وجنود مرتزقة، بل قادة ووزراء للأباطرة، كما حدث هناك مصاهرة وتفاعل اجتماعي بين الجرمان والرومان[3].

نتائج الغزو الجرماني للإمبراطورية الرومانية:

في المرحلة الأولى والتي امتدت حتى سنة 375م، تحركت القبائل الجرمانية باتجاه حدود الإمبراطورية نتيجة الضغط السلافي Slaves المسلط عليها، وكذلك طمعا في الثروات التي

[1] إبراهيم علي طرخان، دولة القوط، ص ص.29–30.

[2] للمزيد عن تحرك القبائل الجرمانية، ومواجهة الرومان لها، انظر: إسحاق عبيد، من الارك إلى جستنيان: قراءة في حوليات العصور المظلمة، دار المعارف– القاهرة، 1977، ص.13–14.

[3] محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوربا، ص.66.

ينعم بها الرومان، غير أن الأباطرة تصدوا لذلك، لتظهر الهجمات مرة أخرى في القرن الثالث الميلادي في عهد الإمبراطور كاركلا Caracalla(211-217م)، ويظهر القوط على مسرح الأحداث في النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد في إقليم داكيا ومن نتائجه: اعتناق هذا العنصر للمسيحية وتأثرهم بمظاهر الحضارة الرومانية، بل أصبح هؤلاء جند مرتزقة في الجيش الإمبراطوري، بل قادة ووزراء، كما حدثت هناك مصاهرات وتفاعل اجتماعي. غير أنه في المرحلة الثانية والتي امتدت من سنة 376م إلى غاية 568م، غيّر الجرمان من إستراتيجيتهم بحيث بدؤوا يتغلغلون داخل الإمبراطورية. وفي سنة 568م تواجد اللومبارديون بايطاليا. وفي هذه الفترة التي قاربت القرنين من الزمان تميزت بضخامة الهجمات الجرمانية، التي كانت تسعى من ورائها إلى الاستقرار داخل ربوع الإمبراطورية الرومانية، فكان لهم ذلك وبالرغم من ما قيل عن همجية ووحشية هؤلاء البرابرة، إلا أنهم تأثروا بمظاهر الحياة الرومانية ومدنيتها واقتباس مقوماتها[1].

.....

المحاضرة السادسة

غزوات البرابرة الجرمان(الجزء الثاني)

لقد شهد العالم وأوربا خصوصا هجرات بشرية كان لها بالغ الأثر على مجتمعاتها، وتمثلت تلك الهجرات في غزوات البرابرة من بينها القبائل الآسيوية المتمثلة في الهون Huns على شرق أوربا، وهؤلاء بدورهم أجبروا قبائل اللآن Alans والجرمان، وخاصة

[1] محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوربا، ص ص.66-67.

االقوط الشرقيين والغربيين على مواصلة الزحف باتجاه الغرب لعلهم يجدون ملاذا يأويهم، ويتمكنوا من إقامة كيانهم[1].

1-قبائل الهون Huns:

هبت رياح التغيير على أوروبا الشرقية وغربها في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، حيث شهدت الأرض والشعب على حد سواء، مجيء جحافل من المحاربين البرابرة، فكان لهم تأثير على حياة المجتمع اللاّتيني. من بين المجموعات البربرية، نجد الهون، وهي المعروفة لدى الصينيين باسم: هسيونج هو Hsiung-Hu ، وقد كانت لهؤلاء علاقات مع الصينيين، وفي وقت لاحق، عندما تحركت قبائل الهون إلى أوروبا الوسطى، استمروا في إقامة بعض العلاقات مع الصينيين. وهذا عندما فتح الإمبراطور الصيني وو- تي Wu-Ti طريق التجارة الغربي لطريق الحرير، وكانت مجموعات من ستة إلى عشرة عائلات من الهون تسافر معا على هذا الطريق من وإلى الصين.

استقر الهون على طول ضفاف نهر تيسا Tisza في منطقة تعرف اليوم باسم المجر، وبحلول القرن الخامس الميلادي، سيطر الهون على إمبراطورية امتدت من جبال الأورال في روسيا إلى نهر الرون Rhône غربا. وفي الحقيقة، كان تأثير المناخ الجاف الذي ساد في تلك الفترة، هو أحد الأسباب الرئيسية لتحرك الهون غربًا[2]. يعود انتماء هذا العنصر إلى أصول تركية آسيوية، حيث تمكن الهون سنة 451م من عبور نهر الراين، والقضاء على كل الممالك الجرمانية التي صادفته، والممتدة من أواسط آسيا إلى أقصى الغرب اللاّتيني، كما تمكن الهون منذ أن استقروا في منطقة بانونيا من نشر الهلع بين الزعامات الجرمانية

[1] للمزيد عن تحرك القبائل الجرمانية، ومواجهة الرومان لها، انظر: إسحاق عبيد، من الارك إلى جستنيان، ص ص.13-53. انظر أيضا: هـ.أ.ل. فشر، تاريخ أوربا، ق.1، ص.21.

[2] للمزيد عن قبائل الهون البربرية، انظر: Bonnie Carman Harvey, Attila the Huns, Chelsea house Publishers, U.S.A, 2003, PP.22-25.

في أوربا، بل حتى إمبراطوري الشرق(القسطنطينية) والغرب(ميلانو)، تخوفا من رد فعل أتيلا[1].

لقد تربع هذا القائد على إمبراطورية مغولية شاسعة له من كنوز الذهب لا حصر لها. حاول الزعيم الهوني مهاجمة روما لكن عدل عن ذلك، نتيجة تلقيه مكافأة سخية من الرومان، علما أن هناك من يقول تراجع عن غزوه لروما خوفا من الموت الذي أصاب الآريك بعد غزوها سنة 410م، والهون هم الشعب الوحيد المتبربر الذي لم يدخل في خدمة الرومان. ونتيجة لوحشيتهم جعل الغرب اللاّتيني يعيش حالة من الفزع، بل أُقيمت الصلوات وتضرع الناس لملك السموات، لعله ينجيهم من بطش أتيلا زعيم الهون، ولكن بتحالف الرومان مع الجرمان تم إلحاق الهزيمة بجيش أتيلا في معركة الحقول القطالونية قرب بلدة ترويس Troyes[2]، وكان ذلك في أواخر شهر يونيو من سنة 451م، وصُنفت هذه معركة (شالون) من بين خمسة عشر معركة حاسمة في التاريخ[3].

[1] في عام 406 م ولد أتيلا ابن الملك موندزوك Mundzuk، له أخ واحد اسمه بليدا Bleda، يتمتع أتيلا بالعديد من الامتيازات الملكية، لكنه لم يكن مدللا. وفي سن مبكرة، تميز بالانضباط، متحملا للعديد من الصعاب، اعتاد على تحمل الجوع والعطش، وهذا مثل أقرانه من صبية الهون الصغار، كما تعلم أيضا كيفية الصيد وركوب الخيل. وفي سن الثامنة، نظم أتيلا مناورات قتالية مع زملائه، واستمتع معهم بركوب المهور في معارك تحاكي المعارك الواقعية، استخدموا فيها لعبة السيوف والأقواس والسهام. وعادة ما تفوز مجموعة أتيلا بهذه الألعاب، لكن المعارك التي خاضها الأطفال كانت شرسة للغاية وواقعية. والعديد من الصفات القيادية التي أظهرها أتيلا لاحقًا كشخص بالغ تطورت نتيجة لهذه الألعاب. للمزيد عن شخصية أتيلا، انظر: Bonnie Carman Harvey, op.cit.,P.23.

[2] إسحاق عبيد، من ألآرك إلى جستينيان، ص ص.71-75. للمزيد عن تلك المعركة التي دارت رحاها بين قبائل الهون بزعانة أتيلا وقائد الجيش الروماني أتيوس وحلفائهم من الجرمان، أنظر: جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى: ترجمة محمّد فتحي الشّاعر، ط. 2، 1992، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ص ص.23-53.

[3] للمزيد من التفاصيل، انظر: Bonnie Carman Harvey, op.cit., P.65.

2-القوط الغربيون :

يعتبر العنصر القوطي من أعظم قبائل الجرمان الشرقيين، وأكثره عددا وأشد خطرا على أوربا، قدموا من جزيرة اسكندناوة وهي موطنهم الأصلي في السويد بصفة خاصة[1]، بدؤوا رحلتهم الطويلة نحو الجنوب الشرقي واستقر بهم المقام في المنطقة الشمالية المطلة على البحر الأسود. وهناك كان انقسامهم إلى قسمين شرقيين Ostorgoths وغربيين Visigoths، حيث انتشر القوط الشرقيون في سهول روسيا الجنوبية، بينما القوط الغربيون توجهوا صوب منطقة داشيا والبلقان وهناك كان استقرارهم (275-375م)، وقد استفاد القوط من الحضارة الرومانية واعتنقوا المسيحية على المذهب الأريوسي على يد مُنَصِّر منهم يدعى ولفيلاس، وعندما أصبح أسقفا على القوط حوالي سنة 341م قام بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الجرمانية[2].

في عام 363م، عقد الإمبراطور الروماني معاهدة سلام مع شابور(صابور) SHAHPUR II ملك الفرس، حيث نصت المعاهدة على أن تتعاون إمبراطوريتهما لحماية الممرات عبر جبال القوقاز من الغزوات التي يقوم بها "هؤلاء البرابرة الذين لا نعرفهم نحن ولا الفرس"، ويعتقد بعض المؤرخين أنهم كانوا من "الهون السود" أو Kidarites [3] الذين كما يقولون، لم يكونوا مرتبطين بالهون الذين سرعان ما أصبحوا معروفين للرومان.

كثير من الكتابات تعطينا العديد عن أسماء الشعوب، ولكن لا توجد معلومات كافية للتأكد منهم وماذا كانوا يفعلون، وكان هذا حتى سنة 376 م العام الذي على حد تعبير

---

[1] إبراهيم علي طرخان ، دولة القوط، ص ص.32-33.

[2]) عاشور، تاريخ أوربا، ص ص.66-67.

[3] تختلف الآراء حول الكيداريين أيضًا: فبعض المؤلفين يعتبرونهم فرعًا من الشيونيين Chionites، ويشير آخرون إليهم على أنهم المجموعة الأولى من عدة مجموعات من "الهون الإيرانيين"، الذين هاجروا جنوبًا من آسيا الوسطى، للمزيد عن هذه المجموعات انظر: Kathryn Hinds, Huns,2010, P.21.

أميانوس مارسيلينوس، "انتشرت إشاعة مروعة عن ذلك... ضيف بربري مؤلف من دول مختلفة بعيدة، والتي تم دفعها فجأة بالقوة من بلدهم الآن...يتجولون في اتجاهات مختلفة على ضفاف نهر الدانوب"، وقد أثبتت الإشاعة أنها صحيحة، لقد كان البرابرة المتجولون هم القوط، وهم مجموعة من القبائل الجرمانية الشرقية، لكن وفق قول أميانوس أن "مصدر كل هذا الدمار والكوارث المختلفة كان سببها تحرك شعب الهون"[1]. حيث وصل الهون إلى منطقة داسيا (رومانيا حاليا)، وتمكن هؤلاء الأقوام من الانتصار على القوط الغربيين وإلحاق خراب بالمنطقة، فألتمس القوط الرحمة من الرومان بأن يسمحوا لهم بمواصلة المسير إلى منطقة أكثر أمنا، فسمح لهم الإمبراطور الروماني فالنز(364-378م) بعبور نهر الدانوب والإقامة في إقليم مؤئيسيا السفلى(شمال بلغاريا حاليا)، غير أن القوط لم تتسع المنطقة لاحتوائهم نتيجة أعدادهم الكبيرة ودخلوا مع الإمبراطور في صراع، إلى أن دارت بين الطرفين معركة أدرنة سنة 378م، وتمكنت القبائل الجرمانية من الانتصار على الرومان، بل أودت بحياة الإمبراطور[2].

وبمجيء الإمبراطور ثيودوسيوس الأول(378-395م) لجأ إلى سياسة جديدة، حيث هادن القوط سنة 382م، واقطعهم إقليم تراقيا(من بلاد اليونان حاليا)، فاستقر القوط الغربيون، بينما القوط الشرقيون استقروا بإقليم بانونيا، وإستراتيجية منه قسم إمبراطوريته بين ولديه أركاديوس الذي أخذ الشرق وعاصمته القسطنطينية، بينما هونوريوس أخذ الغرب وعاصمته رافنا Ravenna.

وبموت ثيودوسيوس سنة 395م أصبح البلاط الروماني بشقيه تحت رحمة القادة والوزراء، وعاش القوط عيشة هنيئة في أراضي تراقيا بسلوكهم الخشن وغطرستهم، بالرغم

---

[1] للمزيد من التفاصيل، انظر: Kathryn Hinds, op.cit., PP.21-22.

[2] أ.ل.هربرت فشر، المرجع السابق، ق.1، ص.22.

من ارتباطهم بمواثيق في خدمة الرومان[1]. وقد ثار القوط الغربيون مرة أخرى بقيادة ملكهم الجديد ألريك الأول Alaric I (395-410م) وأصبحوا على مشارف القسطنطينية، حينها تحركت جيوش الغرب بقيادة ستيلكو Stilicho فتمكن من هزيمهم وفرار ألرك سنة 396م[2]، غير أنه لا يزال يناور بشعبه لإيجاد مستقر له سواء في الشرق أو الغرب.

ونتيجة لمقتل القائد الروماني ستيليكو سنة 408م، تحين ألريك الفرصة وغزا ايطاليا ودخلها منتصرا سنة 410م، غير أن المنية وافته وهو في أوج انتصاره[3]، بعدها خلفه زوج أخته أتولف Atulph (410-415م) الذي دخل مع الإمبراطور هونوريوس في مفاوضات سنة 413م، وتم الاعتراف بهم كحلفاء معاهدين ومنحهم جنوب بلاد الغال (نربونة) ومنطقة في أقصى اسبانيا(تركونة)[4].

وباغتيال أتولف اختار القوط زعيما من بينهم وهو سيجريك Sigeric، الذي تمكن من قتل أبناء أتولف، لكنه لم يلبث أن قُتل على يد واليا Wallia(415-419م)، وبموجب معاهدة سنة 418م استطاع أن يضمن للقوط منطقة يستقرون فيها، وكانت أكوتين Aquitaine اختيارهم واتخذ القوط تولوز Toulouse عاصمة لهم يتمتعون فيها بالاستقلال الذاتي بشرط أن يقوم هؤلاء في اسبانيا بالقضاء على الوندال والالآن والسويفي لصالح الإمبراطورية.

وبعد وفاة واليا سنة 419م، انتخب القوط زعيما آخر هو ثيودريك الأول Theoderic I (419-451م)، الذي تحالف مع الرومان لصد خطر الهون، حيث انتصر المتحالفون في معركة شالون سنة 451م، وفيها لقي ثيودريك حتفه، بعدها أصبح ايوريك Euric ملكا على

[1]) أ.ل. هربرت فشر، المرجع نفسه، ص.23؛ عاشور، تاريخ أوربا، ص.68.

[2]) عاشور، تاريخ أوربا، ص.69.

[3]) عاشور، المرجع نفسه، ص ص.69-70.

[4] إبراهيم علي طرخان، دولة القوط، ص.82.

القوط الغربيين سنة 466م، وقد بلغت دولتهم في عهده ذروتها في القوة والنفوذ، وازدادت أراضيها اتساعا وتوطدت سيادتهم في بلاد الغال واسبانيا باستثناء جليقية، حيث سيطرت عليها قبائل السويفي الجرمانية.

وبعد وفاة الملك ايوريك سنة 485م دب الضعف في مملكة القوط الغربيين[1]. وفي أواخر القرن السادس الميلادي تحول القوط الغربيون إلى المذهب الكاثوليكي، وسعت الكنيسة الغربية إلى تقوية الملكية القوطية، غير أنها لم تنجح في مسعاها، وفي بداية العقد الثاني من القرن الثامن الميلادي (711م)، استسلم القوط للمسلمين الفاتحين[2].

3-القوط الشرقيون:

تغلغل القوط الشرقيون إلى داخل الإمبراطورية من جهة حوض الدانوب، وفي أواخر القرن الرابع الميلادي استعبدهم الهون، ولم يتحرروا من عبوديتهم إلا بعد وفاة أتيلا زعيم الهون سنة 453م، وكان زعيمهم ثيودوريك Theoderic "قائد الشعب"، قد أُرسل في صغره إلى القسطنطينية كرهينة، حيث أصبح ذو ثقافة وتعلم القانون وأساليب الحكم الرومانية، وفي ثمانينيات القرن الخامس الميلادي انتخب القوط ثيودوريك ملكا عليهم.

وفي نهاية القرن الخامس الميلادي، وجدت سياسة توحيد المصالح القوطية الرومانية تشجيعا من الإمبراطور البيزنطي زينو Zeno (471-491م)، خاصة وأن القوط الشرقيين أصبحوا يهددون الإمبراطورية الشرقية، لذا من الضروري تغيير وجهتهم إلى ايطاليا، حيث يقبع أودواكر الذي بدأ يوطد أركان مملكته بعيدا عن القسطنطينية. وبذلك تمكن الإمبراطور من إبعاد خطر القوط وتأكيد وجوده في ايطاليا، وفي حدود سنوات معدودة (489-493م) تمكن ثيودوريك من القضاء على اودواكر وبسط نفوذه على هذا الإقليم[3].

---

[1] محمود الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية، ص ص.130-131.

[2] نورمان كانتور، المرجع السابق، ج.1، ص.166.

[3] نورمان كانتور، المرجع نفسه، ج.1، ص.166-167.

وبتفويض من الإمبراطور أصبح ممثلا له في ايطاليا مع الاحتفاظ بمكانته الملكية[1]، غير أن ثيودوريك بدأ يطمح إلى تكوين مملكة جرمانية تتربع على أراضي ايطاليا وغاليا وربما اسبانيا، حيث بدأ يوطد علاقاته بالفرنجة والقوط الغربيين، إذ أنه تزوج من أخت كلوفيس Clovis (481-511م)، كما زوج ابنته لملك البورجنديين، ونصب نفسه وصيا على عرش القوط الغربيين، حينها شعر الإمبراطور الشرقي بالخطر الداهم فأعترف بسيادة كلوفيس على غالة وتحالف مع الفرنجة[2].

وتمكن ثيودريك من تنظيم دولته، بحيث اهتم بالجانب الزراعي والضريبي، كما أعاد للقضاء أهميته، فضلا عن إعادة ترميم ما تم تخريبه، وبالرغم من مذهبه الأريوسي، إلا أنه كان متسامحا مع الكاثوليك، وبالرغم من أن ثيودوريك لا يعرف القراءة والكتابة، إلا أنه اهتم برجال العلم والمعرفة والأدب، أمثال بويثيوس Boethius والأسقف اينوديوس Ennodius والمؤلف كاسيودوروس Cassiodorus ، هذا الأخير أصبح وزيرا للمك ثيودرويك. وحينما شعر ثيودوريك بحركة مريبة ضده منع الكاثوليك من حمل السلاح، بل أنه اتهم الوالي سيماخوس Symmachus وصهره بويثيوس وأعدمهما سنة 525م، ولكنه ندم عن فعلته، وقيل أنه اختل عقله وأن هذا الحزن والأسى عجلا بوفاته سنة 526م، غير أن دولته لم تعمر بعده، إذ سقطت تحت ضربات الإمبراطورية الشرقية في عهد الإمبراطور جستينيان الأول(527-565م) سنة 553م[3].

4-الفرنجة Francs:

من القبائل الجرمانية التي استطاعت أن توطن نفسها داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية، وقد ظهر الفرنجة بشكل جلي مع مطلع القرن الخامس الميلادي، مكونة كتلة

[1]) نورمان كانتور، المرجع السابق، ج.1، ص. 167.

[2]) نورمان كانتور، المرجع نفسه، ج.1، ص. 169.

[3]) محمود سعيد عمران، معالم، ص ص.101-103.

متراصة أهم عناصرها الفرنجة البحريون Francs Ripuaires، والفرنجة البريون Francs Saliens، وكان كل فرع قد استقر داخل حدود الإمبراطورية، بحيث امتد الفرنجة البحريون بين أنهار الراين Rhine الأدنى والميز Meuse، والشلد Child، بينما امتد البريون على طول نهر الموزل Mosel الأدنى[1].

ويمثل الفرنجة دورا هاما في تاريخ الغزو الجرماني للغرب اللاّتيني، إذ أن دولتهم كُتب لها البقاء، ولقد نجحوا في مزج مقومات الحضارة الرومانية مع عاداتهم وتقاليدهم الأصيلة، وتعتبر سنة 431م كبداية لدولتهم، إذ أن في هذه السنة هاجم ملكهم كلوديو Chlodio مدينة كلوني Cluny، بينما هناك من يعتبر بدايتها سنة 482م، أي سنة ولاية كلوفس حكم عرش الفرنجة[2].

ويُعتبر هذا الأخير المؤسس الحقيقي لدولة الفرنجة البحريين، إذ أنه في سنة 486م ألحق الهزيمة بسياجريوس Syagerius، في سواسون Soissons، هذا الذي بقي يمثل الإدارة الرومانية في حوض السين Seine، بالرغم من أن الإمبراطورية قد سقطت في الغرب سنة 476م. أخذ كلوفس (486-511م)، يعمل بجد ونشاط لمد نفوذ الفرنجة في شمال غاليا[3]. والخطوة التي قام بها كلوفيس وكان لها أثرها، أنه اعتنق المسيحية بفضل زوجته كلوتيلدا Clotilda ابنة الملك البرجندي شلبريك Chilperic[4] على المذهب

---

[1] عاشور، تاريخ، ص ص.78-79

[2] محمود سعيد عمران، معالم، ص.88. في حين من يقول بأن كلوفس تولى عرش الفرنجة الساليين بعد وفاة والده شيلدريك Childeric سنة 481م. تمتع بمقدرة حربية وشخصية قاسية لا تقم للأخلاق وزنا، وذلك أهّله بأن يتزعم قبائل الفرنجة الساليين من جهة، ومن جهة أخرى وضع اللّبنة الأولى في تكوين مملكة الأسرة الميروفنجية. للمزيد: انظر: محمود الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية، ص.154.

[3] عاشور، تاريخ، ص.79.

[4] محمود الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية، ص.155؛ لبنى رياض عبد المجيد، محمد حمزة حسين، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، 2015، ص.94. للمزيد من التفاصيل عن شخصية كلوفس، انظر: Ian Wood, the

الأثناسيوسي(الكاثوليكي)، مخالفا بذلك كل الجرمان الذين كانوا على المسيحية الأريوسية، كما أوجد رباطا وثيقا بينه وبين شعبه، بالإضافة إلى توطيد علاقته بالكنيسة الغربية، وكل ذلك رجح كفته ضد أعدائه[1].

وقد امتد وجود الأسرة الميروفنجية إلى غاية 751م، حيث ظهرت هناك أسرة فرنجية أخرى، وهي الأسرة الكارولنجية، ويظهر من بين شخصيات هذه الأسرة شارلمان Charlemagne (768-814م)، ويمتد وجوها من سنة751م إلى غاية 911م[2]. لقد اختلفت حركة الفرنجة عن كل ما قامت بها القبائل الجرمانية الأخرى من حركات، إذ أُعتبرت حركة توسعية لا غزو، حيث لم يتركوا موطنهم عند الراين الأدنى، بل قاموا بعملية توسعية، دون أن يقطعوا صلتهم بموطنهم الأساسي، وقد نتج عن ذلك احتفاظ الفرنجة بأصولهم ومقوماتهم الحضارية، كما كانت سياستهم حكيمة تجاه العناصر الأخرى، مع احتفاظهم بعلاقات حسنة مع الإمبراطورية الرومانية في جل الأوقات[3].

5-الوندال Vandals:

من القبائل الجرمانية الشرقية التي غزت هي الأخرى أراضي الإمبراطورية الرومانية، وينقسمون إلى قسمين هما: الأسدنجي Asdingi والسيلنجي Silingi ، ونتيجة لضغط الهون تحركت قبائل الوندال والالآن غربا، وحطت الرحال فيما وراء الدانوب الأعلى، حيث أراضي الإمبراطورية واستولوا على بعض المدن، فأضطر القائد الروماني ستيلكو إلى مهادنتهم وعقد اتفاقية معهم من بين شروطها أن يمدوه بالجنود المرتزقة[4].

Merovingian Kingdoms 450-751, Longman Publishing, London, New York, 1994, PP.41-49.

[1] محمود الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية، ص ص.155-156.

[2] محمود سعيد عمران، معالم، ص ص.88-89.

[3] عاشور، تاريخ، ص ص.79-80.

[4] محمود الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية، ص.132-134.

وفي سنة 406م اضطربت الأوضاع في ايطاليا نتيجة تحرك قبائل القوط الشرقيين وحلفائهم من الوندال، ولكن القائد الروماني ستيلكو ألحق بهم شر هزيمة في فلورنسا، وفي نهاية هذه السنة قامت مرة أخرى قبائل جرمانية مكونة من الوندال والالآن والسويفي من عبور نهر الراين قرب مينز Mains ، حيث توغلت إلى بلاد الغال مُحْدثة دمار بمدنها، بل وصلت هذه الموجة إلى مشارف جبال البرانس، وما إن حلت سنة 409م حتى وصل الوندال إلى أراضي شبه الجزيرة الأيبيرية.

وبهذا وجدت الإمبراطورية نفسها عاجزة عن القيام بأي عمل تجاه القبائل البريرية، فلجأت إلى عقد معاهدة، بموجبها أصبح زعماء القبائل حلفاء وبالمقابل منحتهم أراض في شبه الجزيرة الأيبيرية للاستيطان، فأستقر الوندال الأسدنجي والسويفي بالشمال الغربي من اسبانيا (جليقية) والالآن في لوزيتانيا Lusitania، بينما كان استقرار الوندال السيلنجي في الجنوب الشرقي من اسبانيا، ومنذ ذلك الحين أصبحت تعرف بالأندلس Andalusia، نسبة إلى الوندال[1].

وفي سنة 428م أصبح جيسريك Gaiseric ملكا على الوندال (428-477م) يُعتبر من أعظم شخصيات ذلك العصر، فقد كان سياسي بارع ومقاتل شجاع، وفي سنة 429م عبر بشعبه مضيق جبل طارق وتحالف مع البربر، وتمكن من الانتصار على الوالي الروماني بونيفاس Boniface.

وفي سنة 431م سقطت مدينة هيبو Hippo (عنابة) في أيديهم، بعدها بأربع سنوات اعترف الرومان بقيام مملكة الوندال في الساحل الشمالي من أفريقيا، كما استولوا على قرطاجة سنة 439م، حينها بدأ الوندال بتقوية أسطولهم البحري واستولوا على الجزر المتوسطية، بل هاجموا روما سنة 455م[2]. وانتهج جيسريك وهو آريوسي المذهب سياسة

[1] محمود الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية، ص.134-135.

[2] محمود سعيد عمران، معالم، ص ص.78-79

عنيفة، إذ أنه صادر الممتلكات والأراضي والضياع، ومضاعفة الضرائب، كما اضطهد رجال الدين الكاثوليك، ومصادرة أملاك الكنيسة الكاثوليكية، وبموته سنة 477م دب الضعف في المملكة، فتمكن قائد القوات البيزنطية بلزاريوس Belisarius، من انتزاع شمال أفريقيا من الوندال سنة534م، وكان ذلك على عهد الإمبراطور جستينيان[1].

6-البورجنديون Burgundians:

من القبائل الجرمانية الشرقية، عاشوا في القرن الأول الميلادي بين نهري الأودر Oder والفستولا Vistula، موطنهم الأصلي جزيرة سكندیناوة، تحركوا باتجاه نهر الراين فبلغوه في القرن الرابع الميلادي، وفي سنة 406م عبروا النهر تحت ضغط قبائل الهون، فسمحت لهم السلطات الرومانية بالإقامة في الضفة اليسرى للنهر، كمعاهدين Foederati سنة 413م حول مدن وورمز Worms و سباير Speyer والمينز، وأثناء استقرارهم في هذه المناطق اعتنقوا المسيحية[2] على المذهب الآريوسي.

وفي بداية عهدهم بها تسبّبوا في كثير من المتاعب للكنيسة الكاثوليكية في الغرب اللاّتيني[3]، كما قامت هذه القبائل بغارات على جيرانها، مما جعل القائد الروماني آتيوس ينتقم منهم سنة 436م بمرتزقته من البرابرة ودفعهم نحو وادي الرون الأعلى، وكان أن سمح لهم آتيوس سنة 443م بالإقامة كمعاهدين في منطقة بورجنديا.

ومنذ أن أقاموا في هذه المنطقة اختلطوا بالرومان وتصاهروا وتفاعلوا معم، وتأثروا بمظاهر الحضارة الرومانية، وأخذوا من معينها، ويظهر ذلك في مجموعة القوانين البورجندية Lex Burgundionum، التي أصدرها ملكهم جندوباد Gundobad (472-516م)، كما أن هناك مجموعة القوانين الرومانية البورجندية Lex Romania Burgundionum، التي

[1] عاشور، تاريخ، ص ص.72-73.

[2] محمود الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية، ص ص.140-141.

[3] محمود سعيد عمران، معالم، ص.75.

أصدرها هذا الملك لمعالجة مختلف القضايا المتداخلة بين رعاياه من الرومان والبورجنديين[1].

وفيما يخص علاقة البورجنديين بالفرنجة فقد كانت عدائية، وخاصة في عهد ملك الفرنجة كلوفس، إذ دارت الحروب بينهم حوالي عشر سنوات، بالرغم من أن زوجة كلوفيس كانت بورجندية، أما علاقتهم بالإمبراطورية الشرقية فقد كانت طيبة، حيث دان ملوك البورجنديين للأباطرة الشرقيين بالولاء فأضفوا عليهم ألقاب التشريف التي زادتهم عظمة ومجدا، ولكن مصير هذه المملكة كان مثل مصير كثير من الممالك، إذ أنها لم تعمر طويلا، وفي الربع الأول من القرن السادس الميلادي انتهى وجودها وأصبحت أثر بعد عين[2].

اللومبارديون Lombards:

من القبائل الجرمانية، أُختلف حول أصل تسميتهم باللومبارد، فقيل أنه مشتق من كلمة Long التي تعني الطويل، وBart "Beard" وتعني اللحية، وعلى ما يبدو أن بولس الشماس قد أخذ عن إيزيدور الأشبيلي Isedor (ت.636م) أن اللانجوباردي قد عُرفوا بهذا الاسم، لأنهم كانوا يتركون لحاهم كما هي دون حلقها، في حين هناك من المؤرخين المحدثين أمثال "شمت Schmidt" يرى بأن اسم اللومبارديين الباكر Bards مشتق من الكلمة الجرمانية القديمة Barta التي تعني الفأس، ثم أُضيف لها Long بمعنى الرجال ذوي الفؤوس الطويلة، بينما المؤرخ ليونارد شميتس Schmits فيرى أنها مشتقة من Long Bord ، أي الرجال الذين يقطنون لانج بورد، وهي مروج الألب الواسعة[3].

---

[1] محمود الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية، ص ص.140-141.

[2] محمود سعيد عمران، معالم، ص.76.

[3] نقلا عن محمود الحويري، اللومبارديون في التاريخ والحضارة(568-774)، 1986، دار المعارف، القاهرة، ص ص.17.

ويقول تاكيتوس Tacitus(ت.117م) عن اللومبارديين، "يتميز اللانجوباردیون بقلة أعدادهم، ومع إحاطة الشعوب القوية بهم، فإنهم آمنون بقوة السلاح، وليس عن طريق الخضوع والاستكانة"[1]، تحركوا جنوبا مثل باقي القبائل الجرمانية فوصلوا حوض الدانوب الأوسط، خلال فترة حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس، قام البعض منهم وقبائل الأوبي Obii بعبور نهر الدانوب إلى بانونيا، غير أن الرومان أذاقوهم هزيمة قاسية، فارتدوا عن أدبارهم، مما جعلهم يطلبون السلام وحسن الجوار، وباستقرارهم في حوض الدانوب الأوسط بجوار بانونيا في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي أصبحوا على مقربة من الحدود الرومانية[2].

وفي أوائل القرن السادس الميلادي ظهروا بإقليم بانونيا، ودخلوا في صراع مع قبائل الجبداي Gepidae الجرمانية وانتصروا عليهم سنة 567م بفضل التحالف مع الآفار[3]. في هذه المرحلة لم يشكلوا خطرا على الرومان، بل عملوا كجند مرتزقة في جيش جستينيان، ولم يلبث هؤلاء أن أصبحوا قوة خطرة على الدولة الرومانية بعد أن توحدت قبائلهم، ولم يجدوا لأنفسهم بلدا أقرب وأحسن من ايطاليا، وهكذا زحف اللومبارديون على ايطاليا سنة 568م بقيادة ملكهم ألبوين Alboin[4].

---

1) تاكيتوس، المصدر السابق، ص.90.

2) محمود الحويري، اللومبارديون، ص.14.

3) جاء هذا العنصر من أواسط آسيا، وهؤلاء الأقوام يشبهون المغول في بشرتهم وعيونهم، عظام خدودهم بارزة، اشتهروا بالفروسية والرماية، وكان ظهورهم الأول في أوربا في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، في إقليم بانونيا. للمزيد عن هذا العنصر أنظر: محمد حمزة حسين، لبنى رياض عبد المجيد، ، المرجع السابق، ص.133.

4) للمزيد عن غزو اللومبارديين لإيطاليا وتوسعهم على حساب مدنها، وإقامة مملكتهم بها، انظر: عاشور، تاريخ أوربا، ص ص.109-126.

-الأنجلو سكسون Anglo- Saxon:

كانت تعيش ببريطانيا ثلاثة شعوب أثناء توسع الرومان على حساب هذه الجزر، وهذه الشعوب هي: الكالدونيون Caledonians (البكت Picts والسكوتلنديون Scots) وكان تمركزهم في اسكتلندا Scotland، بينما في الجنوب والشرق تواجد اللجريان Legrians الذين تأثروا بالرومان، في حين تواجد الكمبريانيون Camberians (الولش Welsh) في جهة الغرب.

ونتيجة لانسحاب القوات الرومانية من الجزر البريطانية في عهد هونوريوس، اختل التوازن بين هذه الشعوب، وازدادت هجمات العنصر البكتي على الجنوب، فتحالف الكمبريون واللجريان لتوحيد جهودهما، غير أنهما لم يتفقا على الزعامة التي شكلت عامل قلق للشعبين، وفي فترة اختيار فورتيجيرن Fortigern ، لم يجد بدا من طلب المساعدة من العناصر البربرية المتمثلة في: السكسون والجوت والأنجلز المقيمة في غرب أوربا لمواجهة العنصر البكتي[1].

ولقد استولى الأنجلو سكسون -وهي من أقوى القبائل الجرمانية- على معظم الأراضي التي تعرف باسم بريطانيا الرومانية[2]، وفي سنة 455م تمكن هتجست Hutghist من تأسيس مملكة كانت Kent وعاصمتها كانتربوري Canterbury، وفي العقد الأخير من القرن الخامس الميلادي (491م) تأسست مملكة سسكس Sussex ، على يد ايلا Ella وهم سكسون الجنوب، في تشيتشستر Chichester، بينما أسس كرديك Cerdic سنة 516م مملكة وسكس Wessex (سكسون الغرب) في وينتشستر Wichester ، وفي سنة

---

[1] محمود سعيد عمران، معالم، ص ص.103-104.

[2] للمزيد من التفاصيل عن غزوات الأنجلو سكسون للجزر البريطانية، انظر: Catherine Hills, Anglos-Saxon Attutides in Britons in Anglo-Saxon England, Edited by, Nick Higham, The Boydell Press, woodbridge, 2007, P.21.

526م نجح السكسون مرة أخرى في إقامة مملكة في إسكس Essex(سكسون الشرق) وعاصمتهم لندن(مدينة السفن).

وتمكن إيدا Eda سنة 547م من الاستيلاء على يورك York وإقليم نرثمبرلاند Northumberland شمال همبر Humber، في حين تمكن أوفا Offa زعيم عشيرة الأنجليز من إقامة مملكته في انجليا الشرقية East Englia وعاصمتها نورويتش Norwich، كما تمكن كريدا Crida سنة 584م من إقامة مملكة ثالثة للأنجليز، وهي مملكة مرسيا Mercia وعاصمتها ليسستر Leicester، وهكذا تأسست سبع ممالك جرمانية أنجلو سكسونية على الأراضي البريطانية، التي اتحدت فيما بعد مكونة مملكة واحدة[1].

-سقوط الجناح الغربي من الإمبراطورية الرومانية سنة 476م:

توالت الغزوات البربرية وخاصة الجرمانية على الجناح الغربي من الإمبراطورية، ولم يكد ينته القرن الخامس الميلادي حتى أصبحت معظم أجزاء الإمبراطورية في الغرب تحت سيطرة الجرمان، ويمكن اعتبار الفترة الممتدة من سنة 455م إلى غاية 476م، أي من مقتل الإمبراطور فالنتيان الثالث وسقوط روما في يد الجرمان من أحلك فترات الإمبراطورية في الغرب، إذ فقدت جل أراضيها لصالح البرابرة، وأصبحت القوة الفعلية في ايطاليا بأيدي زعماء الجرمان، في حين فقد الأباطرة هيبتهم، وبهذا دخل أودواكر زعيم قبائل الهيرول إلى رافنا وقام بعزل الإمبراطور رومولس أغسطولس Romulus Augustulus ونفيه إلى جنوب ايطاليا، وبهذا انتهت الإمبراطورية في الغرب، حينها لم يكن في ايطاليا سوى البابوية القوة الوحيدة التي ألتف حولها الايطاليون في القرون التالية، الذين رأوا فيها زعامة وسندا يكفلان الحماية للشعب[2].

[1]) محمود سعيد عمران، معالم، ص ص.105-106.

[2] عاشور، تاريخ أوربا، ص ص.75-77.

-أهم نتائج الغزو الجرماني للغرب اللاّتيني:

يمكن حصر هذه النتائج في بعض النقاط منها:

-تغيير معالم أوربا سياسيا وحضاريا، ومنها القضاء على الإمبراطورية الرومانية، وقيام دويلات جرمانية، كما تم المزج بين حضارة الرومان وعادات تقاليد الجرمان.

-ازدياد تردي الأوضاع الاقتصادية مع مجيء القبائل الجرمانية، بالرغم من المحاولات التي قام بها الأباطرة أمثال جستينيان.

-ظلت الكنيسة الغربية وعلى رأسها البابوية القوة الوحيدة المحترمة من جميع العناصر، بما فيهم الجرمان، وهذا ما أهلها بأن تتحمل القيام ببناء الحضارة الغربية، وخاصة في بداية العصور الوسطى، كما حاولت البابوية إنقاذ التراث الكلاسيكي، وكذلك تراث العصور الوسطى[1]

.....

المحاضرة السابعة

نشأة البابوية وتطورها

-تأسيس الكنائس وتطور مكانة الأسقف:

من المُسلّم به أن الديانة يدعو إليها الأنبياء المرسلون، بينما رجال الدين هم من يتولى تنظيمها مثل ما حدث في الديانة المسيحية، حيث تولى الرسل التبشير بها، وذلك يعد من أعمال الكنيسة، فأصبحوا يدعون إلى الدين في إقامتهم ورحلاتهم، فأنشأوا الكنائس وكونوا الجماعات المسيحية في مدن الإمبراطورية الرومانية، ومن خلال رسائل القديس بولس تظهر العلاقة جلية بين الكنائس ومؤسسيها، وبانقطاع التبشير في مستهل القرن الثاني

[1] محمود سعيد، معالم، ص.108.

الميلادي تأسست في العالم المسيحي كنائس محلية، يخضع كل منها لسلطة الأسقف الذي يدير شؤونها الدينية[1].

ولم يكن الإجراء الذي قام به الإمبراطور قسطنطين الكبير (305-337م) وحيدا والذي بموجبه منح الكنيسة المسيحية حرية العبادة الدينية في عام 313م، بل أصدر أيضا مرسوما به تتم إعادة الممتلكات الكنسية التي صودرت أثناء الاضطهاد، فقد كان لذلك بالضرورة آثارٌ بعيدة المدى لصالح الكنيسة المحلية في روما[2].

وبعد فقدان هذه الأخيرة(روما) لمكانتها السياسية، أصبح من البديهي أن يتولى الأسقف السلطة لأنه كان أكبر رجال الكنيسة الغربية مرتبة[3]، إذ وجدت الكنيسة في البابوية خير وسيلة في جمع شملها وتحقيق طموحها، وهكذا أصبح البابا رأس الكنيسة الغربية الكاثوليكية ومصدر ولايتها وحارسها الأول لقوانينها ونظمها وعقيدتها، الذي استمد سلطته من تعيين المسيح عليه السلام له مباشرة، فالبابا خليفة القديس بطرس في كرسيه الأسقفي بروما، وهذا الأخير (بطرس) زعيم الحواريين ومقدم الرسل الذي اتخذه المسيح أساسا بنى عليه كنيسته[4].

-ازدياد نفوذ الأساقفة بعد سقوط روما:

لقد ازداد مركز البابوات قوة ونفوذا على الغرب بعد انقطاع سلسلة الأباطرة سنة 476م[5]، وأصبح البابا رأس الجهاز السياسي في أوربا العصور الوسطى، بحيث أُعتبر ملك

---

[1] السيد الباز العريني، المرجع السابق، ص.154.

[2] للمزيد انظر: Walter Ullmann, Short history of Papacy in middle ages,Routledge, 2003, New York and London, P.1.

[3] الباز العريني، المرجع السابق، ص.172.

[4] عاشور، أوربا العصور الوسطى، النظم والحضارة، ج.2، ص.1.

[5] الباز العريني، المرجع السابق، ص.172.

الملوك وأمير الأمراء، وانطلاقا من هذا بدأت البابوية تنظم سيادتها على أسس إقطاعية، وتطابق الجهازان الكنسي والسياسي تطابقا محكما في غرب أوربا[1].

-البابا جريجوري الأول ونفوذ البابوية:

بوصول البابا جريجوري الأول (العظيم) (590-604م) إلى عرش البابوية، بدأ يعمل على تقوية النفوذ السياسي للبابوية على العالم المسيحي بشقيه الغربي والشرقي، علما أن هناك عوامل ساعدت على نجاح هذه السياسة، ومنها الظروف التي سادت بايطاليا، وانصراف الإمبراطورية البيزنطية لمعالجة مشاكلها في الشرق، وبهذا تحملت البابوية عبء المسؤولية في الغرب اللاّتيني[2].

وبعدها حدث الانشقاق المذهبي والسياسي[3] بين الشرق والغرب حول مشكلة اللاّ أيقونية[4]، وفي التفاف شعوب الغرب حول البابوية لتقف موقفا سياسيا مضادا للقسطنطينية،

---

[1] عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص.2.

[2] عاشور، المرجع نفسه، ج.2، ص.2.

[3] في سنة 867م تم عقد مجمع ديني في القسطنطينية برئاسة الإمبراطور ميخاييل الثالث Michael III (842-867م)، من قرارات المجمع إدانة بابا روما نيقولا الأول Nicholas I (858-867م)، وحرمانه من رحمة الكنيسة وبطلان اعتقاد كنيسة روما بشأن الروح القدس، واعتبروا ذلك هرطقة، كما أدانوا كنيسة روما نتيجة تدخلها في شؤون كنيسة بيزنطة. وبهذا حدث الانشقاق الديني بين الكنيستين، بل زادت حدة الخلافات بين الشرق والغرب. للمزيد انظر: محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، 1994، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ص.118-185.

[4] الأيقونات هي الصور والرسوم والتماثيل التي تصور أو تمثل المسيح عليه السلام والقديسين، من أجل العبادة والتقديس، وقد استعملتها الكنيسة في بداية الأمر لتقريب العقيدة لأذهان الأميين وتعليمهم دينهم الجديد. غير أن هذا العمل لم يعجب الكثير من أفراد المجتمع البيزنطي، فأصدر البابا ليو الثالث Leo III (717-740م) مرسوما سنة 726م يحرم عبادة الصور والأيقونات بتأييد من أفراد المجتمع ورجال الدولة العسكريين، وبهذا بدأت الحركة اللاأيقونية أي رفض عبادة الأيقونات، وقد كان للإسلام أثر في ذلك وأن المسلمين تركوا عبادة الأصنام، وقد كانت الإمبراطورية الشرقية متأثرة بالدولة الإسلامية، إذ أن الحرب على عبادة الصور والأيقونات كان المسلمون قد بدؤوها قبل الإمبراطور ليو الثالث. حيث نجد الخليفة يزيد بن عبد الملك الأموي سنة 723م/104هـ. أصدر قرارا بإزالة الأيقونات من الكنائس المسيحية في الدولة الإسلامية، أي قبل قرار الإمبراطور ليو بثلاث سنوات، وعلى ما يبدو أن البيزنطيين قد تأثروا بالمسلمين. للمزيد من التفاصيل عن الحركتين الأيقونية واللا أيقونية، انظر: محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص

كما ظهر إحياء الإمبراطورية الغربية في عهد شارلمان، ولكن سرعان ما تدهورت بعد تقسيم الإمبراطورية الكارولنجية، فأصبح من الضروري الإصلاح الكنسي، وأن هذا الإصلاح يتوقف على قيام سلطة كنسية مركزية قوية، تقف في وجه السلطة الزمنية وإجبارها على الاعتراف بسيادة الكنيسة[1].

-البابا جريجوري السابع وازدياد نفوذ البابوية:

لقد بلغت الكنيسة مرحلة حاسمة في تاريخها منذ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، حيث برزت شخصية البابا جريجوري السابع Gregory VII (1073-1085م) أعظم بابوات العصور الوسطى، إذ كان موقفه عنيدا تجاه الإمبراطورية وإرغامها على الاعتراف بسمو البابوية، وبأن هذه الأخيرة مصدر كل السلطات الدينية والسياسية[2].

لقد كان له بالفعل تأثير حاسم في مصير البابوية، إذ أنه حاول تجسيد برنامجها وأيديولوجيتها، ولهذا كانت البابوية تحت قيادته الجريئة مدفوعة بقوتها الداخلية وبرنامجها لتصبح مؤسسة ذات أبعاد أوروبية[3]. وفي صراعه مع المؤسسة السياسية استخدم البابا جريجوري السابع سلاحين روحيين، وهما عقوبة الحرمان ضد فرد معين بذاته Excommunication، أي يصبح الشخص منبوذا من المجتمع لا يمكن التعامل معه، أما الحرمان الثاني فهو الاجتماعي(Interdict)، الذي يخص به مجتمع بأكمله سواء كان هذا المجتمع مدينة أو إقليما أو مملكة بكاملها، وكان لذلك أثرٌ بالغٌ في ازدياد نفوذ البابوية[4].

ص.118-184. وللمزيد عن الحركة اللا إيقونية، انظر: إبراهيم علي طرخان، الحركة اللا إقونية في الدولة البيزنطية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1956، القاهرة؛ جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ص.99-118.

[1] عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص ص.2-3.

[2] عاشور، المرجع نفسه، ج.2، ص.3.

[3] للمزيد من التفاصيل انظر: Walter Ullmann, op.cit., P.91.

[4] عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص.3.

-البابا إنوسنت الثالث ومكانة البابوية:

لقد وصلت البابوية إلى درجة متقدمة في عهد البابا إنوسنت الثالث Innocent III (1198-1216)، وخلال فترة حبريته (رئاسته المقدسة) بدأت الهزات الأولى للصراع بين البابوية وسلالة ستاوفن Staufen الألمانية[1]، وقد أصبحت البابوية في مركز مرموق لها تنظيمات خاصة بالبلاط البابوي وسياسة ثابتة تجاه السلطة السياسية، وسيطرة تامة على الهيئات الدينية[2].

كما أصبحت المحكمة البابوية في عهد البابا إنوسنت الثالث، جهاز قضائي تنظر في جميع القضايا المرفوعة إليها، وكان البابا نفسه ينظر في القضايا ويساعده بعض الكرادلة، حتى وإن كانت بعض القضايا يتم تحويلها إلى كبار رجال الدين، في الأقاليم التي جاءت منها مختلف القضايا، وأصبح الديوان البابوي أعظم جهاز إداري في العصور الوسطى، وأن الحكومة البابوية بدأت تتطور شيئا فشيئا، إلى أن برز التخصص في البلاط البابوي، أي نشوء جماعات وهيئات من الموظفين لكل منها عملها الإداري المعين[3].

.....

المحاضرة الثامنة

الإسلام

لقد كان انتشار الإسلام عاملا أساسيا وحاسما في تشكيل تاريخ العصور الوسطى الأوربية، واتضحت لنا خريطة تقسيم عالم البحر الأبيض المتوسط، إذ برزت ثلاث قوى تميزت كل منهما بحضارتها، الإمبراطورية البيزنطية، الخلافة الإسلامية، والكيانات السياسية التي تشكل منها الغرب اللاّتيني بعد الغزو وخاصة الجرماني.

---

[1] انظر: Walter Ullmann, op.cit., P.122.

[2] عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص.5.

[3] عاشور، المرجع نفسه، ج.2، ص ص.6-7.

وشكلت العلاقات بين هذه الأطراف في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية أهم المواضيع في تلك الحقبة[1]. وباعتبار الإسلام ظاهرة دينية شرقية وحضارية، إلا أنه بالغ الأثر على أوربا في العصور الوسطى، وفي الحقيقة أن اتساع الدولة الإسلامية غربا لم يضم سوى بعض البلدان مثل الأندلس وصقلية وبعض الجزر المتوسطية، ولكن المسلمين وسعوا نفوذهم على حساب المناطق المطلة على البحر الأبيض المتوسط، التي تتوزع عبر قارات العالم القديم مثل بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا. وبهذا احتلت الدولة الإسلامية موقعا استراتيجيا من خلاله انتقل التراث الشرقي إلى الغرب اللاّتيني[2].

إذ أن هذا الأخير كان على تواصل مع الشرق، وخاصة الحضارة العربية الإسلامية، وشكلت التجارة رافدا مهما للاطلاع على حركية المجتمع الإسلامي في تلك الفترة، والاستفادة من العلوم والفنون[3]. إن فتوح المسلمين لبلاد الشام ومصر جعلهم يشرفون على سواحل ذات أهمية، يمكنهم من خلالها قطع عبابها للعبور إلى أمصار أخرى ينشرون فيها دين الحق، ولابد لهم من خوض معركة الانتصار، خاصة وأن هذا المجال تمكن البيزنطيون من بسط نفوذهم وسيطرتهم عليه.

كما أقاموا في سواحل مصر والشام أسطولا بحريا به تُكسر شوكة كل من خرج عن طاعتهم في مختلف الأقاليم المتوسطية. ولما تمكن المسلمون في مصر والشام أصبحوا يصنعون السفن في السواحل المصرية وترسل إلى سواحل الشام، لتشحن بالعتاد والمقاتلين

[1]) نورمان كانتور، المرجع السابق، ج.1، ص.195.

[2]) عاشور، تاريخ أوربا، ص.94.

[3]) للمزيد من التفاصيل انظر: Margaret Deanesly, op.cit., P.99.

لمقارعة البيزنطيين نتيجة قرب قواعدهم من الشام، ولما توسعت صناعة السفن في الشام دخل التعاون المصري الشامي دورا جديدا[1].

وقد كُللت أولى المحاولات البحرية للأسطول العربي الإسلامي ضد البيزنطيين في فتح جزيرة قبرص التي تتميز بموقعها الممتاز سنة 654م/33هـ، فكان لهم أن يخوضوا غيرها ليتمكنوا من السيطرة على حوض المتوسط، لتأتي معركة ذات الصواري سنة655م/34هـ التي قصمت ظهر الروم وأعطت الأولوية للمسلمين في البحر، وبهذا يمكنهم من مواجهة البيزنطيين مرة أخرى في عقر دارهم، وحصار القسطنطينية ومحاولات فتحها، بدءا من سنة 669م/48هـ، إلى غاية سنة715م/99هـ.

ونتيجة لتركز القوة البحرية البيزنطية في الشرق للدفاع عن العاصمة، تمكن المسلمون من بناء قاعدتهم في شمال إفريقيا، التي أصبحت ركيزة للسيادة العربية الإسلامية في غرب حوض المتوسط[2]. وبتمكن المسلمين من بسط نفوذهم وسيطرتهم على أقاليم عديدة من العالم القديم، آسيا وأوربا وأفريقيا، اتبعوا سياسة التعايش والتسامح مع الآخر، فكان لذلك أثر على حركية الإنتاج العلمي والفكري، وأصبحت نقاط التماس بين المجتمعين الشرقي والغربي، مثل الأندلس وصقلية بعدما فتحهما المسلمون وبلاد الشام بعد حركة الحروب الصليبية[3]، منافذ وجسور عبور منها انتقلت العلوم والمعارف العربية الإسلامية باتجاه الغرب[1].

---

[1] إبراهيم أحمد العدوي ، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، مكتبة نهضة مصر،(د.ت.ن)، القاهرة، ص ص.17-18.

[2] للمزيد عن التوسعات العربية الإسلامية في حوض المتوسط، انظر: إبراهيم أحمد العدوي، المرجع نفسه ، ص ص.21-65.

[3] هي تلك الحملات العسكرية التي خاضها الغرب اللاّتيني المسيحي ضد المسلمين شرقا وغربا. وخاصة على بلاد الشام، حيث توجد المقدسات الدينية المسيحية، وتخفوا بالوازع الديني كونه حرك تلك الجيوش الصليبية، بينما كانت لهم أطماع سياسية واقتصادية على الخصوص، وكان ذلك في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي(نهاية القرن الخامس الهجري)، وسميت بالصليبية نتيجة اتخاذهم الصليب شعارا، بل أنهم قاموا بحياكته على ألبستهم. وكان البابا أوربان الثاني Ubran II

المحاضرة التاسعة

مملكتا الفرنجة (1)

1- مملكة الفرنجة في عهد الميروفنجيين (482-751م)

تنسب الأسرة الميروفنجية إلى ميروفك Merovech، وهو الجد الأكبر للفرنجة(حسب الأسطورة) ويمتد وجود هذه الأسرة من سنة 431م أو سنة 482م إلى غاية سنة 751م، وأول ملوكهم حسب ما ذُكر هو كلوديو Clodio الذي قام بمهاجمة مدينة كلوني Cluny سنة 431م، ولكنه انهزم على يد الرومان بقيادة آيتيوس Aetius، وبالرغم من فشله إلا أنه استطاع أن يبسط نفوذه على شرق غالة حتى نهر السوم Somme غربا واتخذ من مدينة توريناي Tournai مقرا لحكمه، خلفه على عرش المملكة مروفك Mirovic(ملك البحر)، تزوج هذا الملك من بازينا Basina ابنة شيلدريك Childeric التي كانت زوجة لأحد الملوك الثورنجيين Thuringians وأنجبت له كلوفس وهو أقوى ملوك الفرنجة في الأسرة الميروفنجية (482-511م)[2].

-كلوفس:

يعتبر كلوفس المؤسس الحقيقي لدولة الفرنجة البحريين، إذ أنه في سنة 486م ألحق الهزيمة بسياجريوس Syagerius، في سواسون Soissons، هذا الذي بقي يمثل الإدارة الرومانية في حوض السين، بالرغم من أن الإمبراطورية قد سقطت في الغرب سنة 476م.

(1088-1099م) هو من أثار الحماس الديني في نفوس أبناء الغرب ووعدهم بالكسب هناك في حالة خروجهم وتحقيق النصر على المسلمين. وقد كانت الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام، أكثر نجاحا لأنها وطنت الصليبيين في المنطقة ما يقارب القرنين من الزمان. للمزيد عن الحركة الصليبية واتخاذها شعار الصليب. انظر: فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد جميل العسلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1990، عمان، الأردن، ص.37؛ انظر أيضا: محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، 1982، دار الغرب الإسلامي.

[1]) للمزيد عن التبادل الحضاري وعبور الثقافة العربية الإسلامية إلى الغرب، انظر: حسن حلاق، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الأندلس، صقلية، بلاد الشام، ط.2، دار النهضة العربية، 2012، بيروت، لبنان.

[2] محمود سعيد عمران، معالم، ص ص.88-89.

أخذ كلوفس (486-511م) يعمل بسرعة لمد نفوذ الفرنجة في شمال غاليا[1]، وأهم عمل قام به كلوفس هو اعتناقه المسيحية على المذهب الكاثوليكي بفضل زوجته كلوتيلدا ابنة الملك البورجندي، ويقال أنه بعد خسارته أمام الألمان Alamans، نذر على نفسه في حالة انتصاره عليهم سيعتنق المسيحية، فكان له ذلك سنة 496م[2].

وقد كان لاعتناقه المسيحية تأثير كبير على رجاله، إذ أنه ما يزيد عن ثلاثة الآف من جنوده أصبحوا مسيحيين على المذهب الكاثوليكي، وبهذا أصبح الطريق معبدا للفرنجة للتوسع والاندماج مع الرومان، وزادتهم دعما من السكان الكاثوليك في كل أرجاء الغرب اللاّتيني، وهكذا أصبح التحالف أمرا واقعا بين ملوك الفرنجة والبابوات[3]. كما أن كلوفس خاض حروبه ضد البورجنديين وانتصر عليهم سنة 500م، بالإضافة إلى انتصاره على القوط الغربيين سنة 507م، وكل ذلك أهّله لتوسيع مملكة الفرنجة في غالة وجوارها[4].

وبعد هذا الانتصار منح الإمبراطور الشرقي(أناستاسيوس الأول) لقبي قنصل Consul وأغسطس Augustus لكلوفس كلقبين شرفيين من جهة إضفاء القدسية، ومن جهة أخرى التحالف معه ضد القوط الشرقيين، كما أنه اعتراف بشرعية كلوفس على غالة، وفي الوقت نفسه خوضه للحروب ضد أعدائه[5]. وعند وفاة كلوفس سنة 511م كانت مملكتهم تمتد على جانبي الراين وتشمل كل أراضي غالة ماعدا بريتاني(أرموريكا) وجاسكوني وبروفانس[6].

---

[1] عاشور، تاريخ أربا، ص.79.

[2] للمزيد انظر: Ian Wood, op.cit., P.41.

[3] السيد الباز العريني، المرجع السابق، ص ص.122-123.

[4] للمزيد انظر: Ian Wood, op.cit., P. 42.

[5] نورمان كانتور، المرجع السابق، ج.1، ص ص.176-177.

[6] عاشور، تاريخ أوربا، ص.83.

-تقسيم الأراضي (الإرث) بين الأبناء:

هناك حقيقة كان لها تأثير كبير على مستقبل مملكة الفرنجة، ألا وهي أن ملوك الفرنجة يعتبرون الأرض ملكا لهم، وعلى هذا الأساس قسم كلوفس مملكته بين أولاده الأربعة[1]، وأخيرا استطاع لوثر الأول (كلوثير) توحيد مملكة الفرنجة سنة 558م بعد وفاة إخوته الثلاثة، أي جميع أراضي مملكة والده كلوفس، بالإضافة إلى برجنديا وثورنجيا وبروفانس وبافاريا[2]، غير أن هذه المملكة عادت إلى الانقسام بعد وفاة لوثر الأول سنة 561م، وبقيت على هذا الحال حتى بداية القرن السابع الميلادي (613م)، حينها وحدها الملك لوثر الثاني Luther II، بعدها وصل ابنه داجوبرت Dagobert إلى العرش سنة (629-639م). فعادت للمملكة قوتها وهيبتها[3].

-نفوذ نظار القصور:

بوفاة داجوبرت ضرب الضعف مرة أخرى أركان مملكة الفرنجة، حيث برزت طبقة النبلاء واتساع سلطة الكنيسة، كما اندلعت الحرب الأهلية، والنزاعات الداخلية وأصبحت قاعدة عامة. كما أصبح تاريخ الفرنجة حتى ظهور شخصية شارل مارتل سنة 714م يمثل تاريخ الصراع بين العائلات في نوستريا وأوستراسيا، من أجل الفوز بمركز رئيس البلاط. وقد كانت لأستراسيا الغلبة على منافستيها نوستريا وبرجنديا، نتيجة تراجع الإقليمين الأخيرين تجاريا وتدهورت مكانة المدن، بالإضافة إلى غلبة الصفة الجرمانية والعنصر الجرماني على العنصر الغالو روماني من الناحية العددية في أوستراسيا[4].

---

[1] عاشور، تاريخ أوربا، ص.83؛ كانتور، المرجع السابق، ج.1، ص.177.

[2] عاشور، المرجع نفسه، ص.83.

[3] محمد محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي 755-976م/138-366هـ، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1981م/1401هـ، مصر، ص.16.

[4] محمد محمد مرسي الشيخ، المرجع نفسه، ص ص.16-17.

- ببين (الثاني) هرستال ونفوذه:

تبرز شخصية ببين الثاني Pipin II المعروف ببين هرستال Heristal، وأصبح رئيس البلاط في المملكة واتخذ متز metz مقرا له، وقد تمركز الحكم في متز وآخن أوستراسيا وكولونيا، وغدا بيت ببين أهم من البيت الميروفنجي واستمر حكم رئيس البلاط من سنة688م إلى غاية 715م[1].

ويقول اينهارد بشأن تراجع مكانة ملوك الأسرة الميروفنجية:" وعلى الرغم من أن الأسرة الميروفنجية قد انتهت بشيلدريك، فإنها كانت قد فقدت سلطانها منذ أمد بعيد، فلم يبق له سوى لقب ملكي أجوف، لأن القوة والسلطة الحقيقيتين قد أصبحتا في أيدي الموظف الرئيسي في البلاط المدعو رئيس البلاط Mayor of Palce"، وهو المسؤول الرئيسي عن شؤون المملكة[2].

-شارل مارتل وتوسعاته:

خلف شارل مارتلMartel (المطرقة) والده ببين الثاني في رئاسة البلاط، وهذا بعد حرب أهلية بين أوستراسيا ونوستريا، واستمر في حكمه مدة طويلة (719-741م)، وقد كانت مرحلة مفصلية في تاريخ غرب أوربا ووسطها[3].

ولم يبق للسلطة الملكية سوى لقب ملكي أجوف، ولقد قام شارل بتوسيع نفوذ الفرنجة، حيث قام بحملاته العسكرية ضد كل من السكسون سنة 718م و738م، والفريزيين سنة 719م و738م، والألماني سنة 730م، والبافاريين سنة 725م و728م، في حين أن هناك

[1] محمد محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، ص.17.

[2] اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة: عادل زيتون، دار حسان للطباعة والنشر، 1989، دمشق، ص.44.

[3] محمد محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، ص ص.17.

خطرا آخر يزحف من الجنوب باتجاه الشمال، وتمثل ذلك في خطر المسلمين الذين تمكنوا من فتح الأندلس، وبدؤوا يزحفون باتجاه غالة[1].

وذاع صيت شارل مارتل بعد انتصاره على المسلمين، أثناء زحفهم باتجاه الشمال[2]، وكان ذلك في المعركة التي دارت رحاها في المنطقة الواقعة بين بواتيه وتور سنة 732م، حيث قُتل عبد الرحمن الغافقي، وتراجع جنوده[3].

-ببين الثالث (القصير) وإنهاء حكم الميروفنجيين:

تظهر مرة أخرى شخصية ببين الثالث Pipin III (القصير) في إدارة البلاط الميروفنجي، كما سوى علاقاته مع الكنيسة الكاثوليكية، وقام بعمله الجريء، الذي من خلاله تمكن من القضاء على البيت الميروفنجي، حيث اجتمع مجلس النبلاء بسواسون بنستريا في شهر أكتوبر سنة 751م، ومنحوا ببين القصير لقب الملك، بمباركة البابا زكريا Zakaria، وقام القديس بونيفاس بترسيمه، وبهذا يبدأ عهد جديد للفرنجة تحت حكم الكارولنجيين[4].

.....

المحاضرة العاشرة

مملكتا الفرنجة (2)

2-مملكة الفرنجة في عهد الكارولنجيين(751-987م)

استهل ببين القصير عهده بمراسلة البابا زكريا، حيث جاء في رسالته:" أليس من حق الشخص الذي بيده السلطة الحقيقية، أن يكون له أيضا لقب الملك؟، فأجاب البابا:" من حق الرجل الذي بيده السلطة الحقيقية، أن يحصل على لقب الملك، بدلا من أن يحتفظ بهذا

---

[1] عاشور، تاريخ أوربا، ص.148.

[2] محمد محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، ص ص.17-18..

[3] عاشور، تاريخ، ص ص.148-149.

[4] محمد محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، ص ص.17-19.

اللقب الرجل الذي ليس له سلطة حقيقية". وبهذا يكون ببين القصير قد اكتسب الشرعية من البابوية، ويحل محل تشلدريك الثالث[1]، الذي تم عزله من منصبه[2]، وبذلك ينتهي عهد الميروفنجيين[3]، ويبدأ حكم الكارولنجيين من سلالة رؤساء بلاط أوستراسيا، وكان أولهم ببين القصير، الذي امتد حكمه من سنة 752م إلى غاية 768م[4].

-شارلمان والأسرة الكارولنجية (768-814م):

كان من عادة الجرمان (الفرنجة) أن يقسم الإرث بين الأولاد، حيث قام الملك ببين القصير وهو يحتضر بتقسيم مملكته بين ولديه، بحيث أخذ شارلمان الأراضي الممتدة من أكوتين إلى الجزء الجنوبي الغربي من أوستراسيا(حاليا فرنسا والأراضي المنخفضة والمناطق المطلة على الحدود الألمانية)، بينما أخذ كارلومان بقية أراضي أوستراسيا والجزء الشرقي من المملكة وهي الأراضي الممتدة من باريس شمالا إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوبا، بالإضافة إلى الجهة الشرقية والتي تغطي معظم أراضي سويسرا وقسما كبيرا من ألمانيا الجنوبية، علما أنه كانت العلاقة بين الأخوين يشوبها كثير من الريب والتوتر[5].

وبوفاة كارلومان سنة 771م، قام شارلمان بتوحيد المملكتين تحت رايته، التي امتدت بين مصبي نهري الراين والرون ومن نهر المين إلى خليج بسكاي، غير أن جربرجا Gerberga أرملة كارلومان Carloman فرت مع ولديها إلى ديسيديريوس Desiderius ملك اللومبارديين في بافيا Bavia، لعلها تجد دعما لاسترجاع حقوق ولديها من ميراث أبيهما

[1] محمد محمد مرسي الشيخ، المرجع نفسه، ص.19.

[2] اينهارد، المصدر السابق، ص.43

[3] محمد محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة، ص.19.

[4] عاشور، تاريخ أوربا، ص.151.

[5] محمود الحويري، اللومبارديون، ص ص.138-139

المتوفى[1]، غير أن وصول البابا هادريان Haderian إلى عرش البابوية سنة 772م تحالف مع شارلمان لردع اللومبارديين، وتمكن شارلمان من كسر شوكتهم سنة 774م[2].

ويقول اينهارد Einhard بشأن ذلك:"غير أن شارلمان لم يتوقف، –بعد أن أعلن الحرب على اللومبارديين–، حتى أنهك الملك ديسيديريوس باستخدام أسلوب الحصار طويل الأمد، وبالتالي أجبره على الاستسلام دون قيد أو شرط"[3]، وخلع على نفسه لقب ملك الفرنجة واللومبارديين[4].

كما أن الملك استأنف حربه ضد السكسون، التي كلفته كثيرا من الجهد والمال واستغرقت ثلاثة وثلاثين سنة(772–804م) وانتهت بكسر شوكتهم، وقبولهم بشروط شارلمان، ومنها تخليهم عن أعرافهم الدينية القومية والوثنية، واعتناقهم المسيحية، واتحادهم مع الفرنجة في شعب واحد[5]، بالإضافة إلى أن شارلمان قام بحملته على اسبانيا(الأندلس)[6]، وكانت هذه الحملة سنة 778م/161هـ، وتكمن أسبابها في رغبة شارلمان في توسيع مملكته، وهو حلم راوده لإعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية القديمة، وتأمين الحدود الجنوبية لتفادي الخطر العربي الإسلامي.

ولذلك اتبع سياسة الهجوم، وهي خير وسيلة للدفاع، علما أن هناك عوامل شجعته على ذلك، من بينها تحريض مجموعة من العرب المسلمين في الأندلس لأسباب سياسية وقبلية، وخاصة الساخطين على عبد الرحمن الداخل، من بينهم سليمان بن يقظان والي برشلونة،

---

[1] المرجع نفسه، ص ص.146–147.

[2] المرجع نفسه، ص ص. 147–154.

[3] اينهارد، المصدر السابق، ص.62.

[4] محمود الحويري، اللومبارديون، ص.154.

[5] للمزيد عن الحرب التي خاضها الملك شارلمان ضد العنصر السكسوني. انظر: اينهارد، المصدر السابق، ص ص.65–73.

[6]) اينهارد، المصدر نفسه، ص.74.

حيث انتقل هذا الأخير إلى بادربورن Paderborn في سكسونية ليقابل شارلمان، وكان ذلك سنة 778م/161هـ، حيث اقترح عليه غزو الأندلس وتعهد بتقديم المساعدة للملك، بالإضافة إلى دور ملوك أشتورياس Asturias في إثارة الشعور العدائي ضد العرب، فضلا عن مباركة البابوية للحملة، التي اعتبرتها حملة مقدسة، كما أن العلاقات العدائية بين العباسيين في بغداد والأمويين في الأندلس شجعت الملك شارلمان على حملته على الأندلس[1].

بحيث اتجه شارلمان إلى مدينة سرقسطة، وهي هدفه الرئيسي معتقدا أنه سيدخلها بسهولة، غير أن المدينة أغلقت الأبواب دونه، ولما يئس من دخولها رفع الحصار عائدا إلى بلاده، وتكمن أسباب فشل هذه الحملة في دفاع العرب المسلمين عن مدينتهم، وفشلت قوات شارلمان في تحقيق انتصارات ملموسة، وعدم تلقيه المساعدة من أنصاره من المسلمين، كما أن تجدد ثورة السكسون أزعجت شارلمان وبإمكانها أن تعصف بكل انجازاته في سكسونية[2].

وفي أثناء عودته إلى بلاده تعرضت مؤخرة جيشه لهجوم الجسكونيين Gascons، وألحقت بها خسائر فادحة[3]. ولتأمين حدوده قام شارلمان بوضع وحدة إدارية على حدوده الجنوبية، سميت بماركية اسبانيا سنة 795م، كما تم ضم برشلونة إليها سنة 797م، بعد أن تسلمها من حاكمها الخائن لخليفة قرطبة[4]، بالإضافة إلى أن الفرنجة مدوا نفوذهم على جزيرتي كورسيكا Corsica وسردينيا Sardinia، وجزر البليار Baleares سنة 799م،

---

[1] اينهارد، المصدر السابق، ص ص.74-75، حاشية (2).

[2] المصدر نفسه، ص ص.75-76، حاشية (1).

[3] المصدر نفسه، ص ص.75-79.

[4] عاشور، تاريخ، ص ص.159-160.

وذلك لمنع المسلمين من اتخاذها قواعد عسكرية لغزو شواطئ ايطاليا وغاليا الجنوبية، كما كانت لشارلمان محاولة في مواجهة الأغالبة، والدفاع عن شواطئ ايطاليا وصقلية.

لقد كان معظم فترة حكم شارلمان حروب مستمرة، حيث خاض فيها أربع وخمسين حملة، تمكن فيها من الاستيلاء على أقاليم عديدة، كما كان له دور في نشر المسيحية بين القبائل التي خضعت لسلطانه في الغرب اللاّتيني[1].

-العلاقات مع المسلمين:

لقد كان هناك تقارب بين الفرنجة وخلفاء العباسيين، إذ تعود بدايته إلى فترة حكم الملك الفرنجي ببين القصير (751-768م)، الذي تبادل السفارات الودية مع الخليفة المنصور (754-775م/136-158هـ)، وكان لشارلمان أيضا رغبة في استمرار العلاقات مع العباسيين لعله يحقق ما كان يصبوا إليه، وبهذا تبادل السفارات مع الخليفة هارون الرشيد(786-809م/170-193هـ)، إذ أن الملك شارلمان كان يسعى لتحقيق رغبته السياسية والتجارية، ومنها تسهيل وصول الحجاج المسيحيين إلى الأماكن المقدسة في فلسطين، بالإضافة إلى الضغط على البيزنطيين من أجل اعتراف هؤلاء بشارلمان كإمبراطور على الغرب.

أما فيما يخص علاقات الخليفة هارون الرشيد بشارلمان، فلم تكن له علاقات سياسية كبرى يريد تحقيقها من وراء علاقته بالملك الفرنجي، غير أنه ربما تجنب الخليفة هارون الرشيد قيام أي تحالف بين الفرنجة والبيزنطيين ضد الخلافة الإسلامية[2].

ويقول اينهارد:" كانت علاقاته (شارلمان) ودية مع هارون...فقد آثر هذا الأمير مودة شارلمان على كل ملوك الأرض وحكامها، وبنى علاقته معه على الاحترام والكرم...وقام

---

[1] المرجع نفسه، ص.160.

[2]) اينهارد، المصدر السابق، ص.105، حاشية (1).

السفراء بالمثول بين يدي هارون الرشيد ومعهم الهدايا، كما نقلوا رغبات سيدهم شارلمان"[1]. وعند عودة سفراء شارلمان رافقهم في رحلتهم سفراء هارون الرشيد إلى الملك ومعهم الهدايا الفاخرة، بالإضافة إلى مواد وعطور ومنتجات أخرى قيمة من بلاد الشرق. وقبلها بسنوات كان شارلمان قد طلب من الخليفة الرشيد أن يهديه فيلا، فأهداه هارون الفيل الوحيد الذي كان يملكه[2]، محملا بأفخر جهاز، وقد استخدم شارلمان هذا الفيل في حربه ضد الدانماركيين[3].

-تتويج شارلمان إمبراطورا على الغرب اللاّتيني سنة 800م:

في نهاية القرن الثامن الميلادي، كان شارلمان قد حقق انجازات عظيمة، كما كان له دور كبير في حماية البابوية ونشر المسيحية، وإحياء كثير من مظاهر الحضارة الرومانية في الغرب اللاّتيني، لذا أصبح شارلمان رجل عصره وجدير بقيادة العالم المسيحي، وهو القوة الوحيدة التي قضت على نفوذ اللومبارديين في ايطاليا ووقفت إلى جانب البابوية، كما تصدى للسكسون ونشر المسيحية بينهم، وتمكن من غزو اسبانيا، وواجه المسلمين في جزر البحر الأبيض المتوسط.

كل ذلك جعل منه بطلا منقذا للغرب منذ سقوط روما سنة 476م، وأصبح جديرا بالزعامة، وكان هو نفسه يطمح لذلك بشرعية من البابوية حتى تضفي على شخصه لقب الإمبراطورية، وبالتالي يكون الأثر أبلغ في العالم المسيحي[4].

وقد حانت الفرصة لشرلمان في تحقيق حلمه الذي طالما راوده، ففي سنة 799م تحالف خصوم البابا ليو الثالث Leo III[1](795-816م)[2] ضده، بحيث حيكت خطة للتخلص

[1]) المصدر نفسه، ص ص.104-105.

[2] اينهارد، المصدر السابق، ص ص.106-107.

[3] المصدر نفسه، ص.107، حاشية (1).

[4] عاشور، تاريخ، ص ص.160-161.

منه، وهي سمل عينيه وقطع لسانه[3]، ولكن البابا تمكن من الفرار إلى حيث يقيم شارلمان[4]، فاستقبله بحفاوة وطمأنه بالعودة إلى روما واعتلاء عرشه، وقام الملك بإرسال ليو الثالث إلى روما وتبعه بعد ذلك، وفي مجمع تم عقده في روما برأ ليو من جميع التهم[5]، وكان ذلك في 23 من شهر ديسمبر من سنة 800م[6]، وتقلد منصبه من جديد، في حين قام الملك بمعاقبة خصوم البابا[7].

ورأى البابا ليو الثالث خير مكافأة لشارل أن يمنحه تاج الإمبراطورية، وتنفيذا لفكرته قام أثناء احتفال رأس السنة (800م) بكنيسة القديس بطرس، وبعد انتهاء الصلاة تقدم البابا وفي يده التاج وقام بوضعه على رأس شارلمان، مرددا" اللهم امنح الحياة والنصر لشارل العظيم، الذي توج بفضل الله إمبراطورا على الرومان"، حينها هتف الجميع بحياة شارلمان.

وحقيقة تتويجه شجعته عوامل منها، أن شارلمان اثبت نجاحه وإخلاصه للبابوية، كما أن الإمبراطورية البيزنطية كانت تحت حكم ايرين Irene (797-802م)، التي لم تحسن إدارتها[8]. ويقول اينهارد بشأن تتويج شارلمان إمبراطورا: "وأثناء وجود شارلمان في روما أُطلق عليه لقب إمبراطور وأغسطس، فلم يرتح لهما وكرههما في بادئ الأمر، وأعلن أنه ما

---

[1] عاشور، المرجع نفسه، ص.161.

[2] اينهارد، المصدر السابق، ص. 142، حاشية (2).

[3] عاشور، تاريخ، ص ص.161-162.

[4] انظر: Heinrich Fichtenau, the Carolingian Empire, the age of Charlemagne, translated by, Peter Munz, Harper and Row Publishers, New York, Evanston, P.73.

[5] عاشور، تاريخ، ص.162.

[6] فشر هربرت، المرجع السابق، ق.1، ص.89.

[7] عاشور، تاريخ، ص.162.

[8] عاشور، تاريخ، ص ص .162-163.

كان ليدخل الكنيسة في ذلك اليوم العظيم من أيام الأعياد لو علم بعزم البابا على منحه هذين اللقبين"[1]، وكان تتويجه في 25 من شهر ديسمبر من سنة 800م[2].

إن ما كتبه اينهارد: أن شارل أعرب لاحقًا عن عدم رضاه عن الطريقة التي اتبعها ليو الثالث، لا يمكن أن يشير إلى حقيقة التكريس نفسه، لكنه يشير فقط إلى الطريقة المحددة التي تم بها التتويج[3]، أي أن شارل تهرب من طريقة التتويج، وربما كان يرغب في إقامة حفل خاص بذلك ويتوج نفسه، لا من البابا حتى لا تكون هبه أو منحة منه، وربما أيضا كان لا يريد أن يثير غضب القسطنطينية في تلك الفترة[4].

وهكذا أصبح شارلمان إمبراطورا على الغرب المسيحي، واعتبر نفسه إمبراطورا حقيقيا يضاهي أباطرة الشرق[5]، وقد كان هذا التتويج صدمة كبيرة للإمبراطورية البيزنطية، فأباطرتها يعتبرون أنفسهم –منذ سقوط روما في القرن الخامس الميلادي– ورثة لأباطرة الغرب ويتمتعون بالسيادة ولو كانت اسمية، ولم يعترفون بذلك التتويج، إلا بعد مرور اثنتي عشرة سنة، أي سنة 812م[6]، حيث أرسل الإمبراطور ميخائيل الأول رانجابي Michael I Rangabe (811–813م) رُسله إلى بلاط شارلمان في مدينة آخن Aechen للإعتراف به كإمبراطور على الغرب، بل يطلب الزواج لابنه من ابنة شارلمان لتوطيد العلاقات، وهكذا أصبح إمبراطوران شرعيان في الجهتين الشرقية والغربية، وعلى ما يبدو أن ميخائيل اتبع

---

[1] اينهارد، المصدر السابق، ص ص.143–144.

[2] اينهارد، المصدر نفسه، ص.143، حاشية (1). انظر أيضا: محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص.146.

[3] للمزيد انظر: Heinrich Fichtenau, op.cit., P.74.

[4] اينهارد، المصدر السابق، ص.144، حاشية (1).

[5] للمزيد انظر: Heinrich Fichtenau, op.cit., P.75.

[6] عاشور، تاريخ، ص ص.163–164.

هذه السياسة نتيجة تلقيه ضربة من البلغار سنة 811م، وعدم قدرته على مواجهة الغرب، خاصة وأن الفرنجة وسعوا نفوذهم على حساب الأملاك البيزنطية في ايطاليا[1].

ويرجع الفضل لشارلمان في بعث الإمبراطورية الرومانية، التي غاب أباطرتها عن الوجود منذ القرن الخامس الميلادي تحت اسم الإمبراطورية الرومانية المقدسة[2]، توفي شارلمان سنة 814م، بعد أن وطد أركان مملكة الفرنجة وأضفى عليها صبغة الإمبراطورية وجعلها في خدمة المسيحية[3].

-إصلاحات شارلمان(768-814م)

لم تكمن أهمية شارلمان في التاريخ نتيجة الحروب التي خاضها، ولا التتويج الذي استحقه فحسب، بل في الإصلاحات التي قام بها هذا الملك الإمبراطور في مجالات شتى، حتى أصبحت تعرف بالنهضة الكارولنجية. لقد كانت له عناية بميدان الثقافة حتى غدا بلاطه قبلة للمفكرين الذين وجدوا تشجيعا منه، وخاصة من ايرلندا وانجلترا وايطاليا، ومن أشهرهم بطرس البيزي Peter of Pisa وبولينوس Paulinus وبولس Paul الشماس وفي مقدمتهم ألكوين Alcuin، الذي استقدمه شارلمان من انجلترا، حيث كان له الفضل في بعث الحياة الفكرية في الدولة في أواخر القرن الثامن الميلادي، وقد كانت جهوده عظيمة في خدمة العلم والتعليم[4].

وقد شغل ألكوين منصب رئيس مدرسة البلاط، التي أقامها شارلمان في قصره لتعليم أبنائه وأبناء حاشيته[5]، بل كان شارلمان نفسه أحد طلاب هذه المدرسة[6]. ولقد كانت

---

[1] محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص.153.

[2] عاشور، تاريخ، ص.163.

[3] هربرت فشر، المرجع السابق، ج.1، ص.95.

[4] عاشور، تاريخ، ص ص.164-165.

[5] جوزيف نسيم، تاريخ العصور الوسطى، ص.159.

[6] عاشور. تاريخ، ص.165.

لشارلمان عناية بجمع وبتدوين قوانين القبائل البربرية الخاضعة لنفوذه، بالإضافة إلى تراث الجرمان، وبصفة خاصة الأغاني التي تمجد بطولاتهم، كما بدأ في وضع قواعد النحو باللغة الفرنجية[1].

بالإضافة إلى عناية الإمبراطور بميادين التشريع والقضاء والإدارة، إذ أنه أوجد كثير من القوانين لإقرار النظام وتنظيم العدالة والمحاكم. وأهم إصلاح إداري قام به في إمبراطوريته هو زيادة نفوذ المبعوثين الملكيين Missi، بحيث يقوم هؤلاء بتبليغ أوامر الملك الإمبراطور وتعليماته إلى حكام الأقاليم ومراقبة حسن سير الإدارة، وعادة ما يرسل شارلمان اثنين من هؤلاء المبعوثين أحدهما من رجال الإدارة والآخر من رجال الدين، كما يقوم بتغيير وجهتهما من حين لآخر حتى لا تتوطد علاقتهما بأهالي الأقاليم[2].

لم تتوقف نهضة شارلمان عند هذا الحد فحسب، بل مست الجوانب الاقتصادية، ومنها الزراعة بحيث أصبحت الأراضي ضياع نموذجية تُدر كثيرا من الخيرات، بالإضافة إلى مختلف الصناعات، ومنها المعدنية والجلدية والخشبية، وبدأت تظهر بذور النقابات لتنظيم أصحاب الحرفة الواحدة وحمايتهم من التحدي الخارجي، كما كانت له عناية بالتجارة الداخلية والخارجية، وتنظيم المكاييل والمقاييس والموازين وسك العملة، فضلا عن الاهتمام بالطرق التجارية وتأمينها، وإقامة الفنادق والوكالات على الطرق الرئيسية، لإيواء التجار ودوابهم وحفظ بضائعهم[3].

---

[1] للمزيد من التفاصيل عن إصلاحات شارلمان، انظر: اينهارد، المصدر السابق، ص ص.146-147.

[2] عاشور، تاريخ، ص ص.165-166.

[3] عاشور، تاريخ، ص ص.166-167. للمزيد عن النهضة الكارولنجية في عهد شارلمان، انظر: ورن هلستر، المرجع السابق، ص ص.111-124.

-تقسيم الإمبراطورية وعقد معاهدة فردون سنة 843م:

عملا بالعرف الجرماني قام شارلمان بتقسيم إمبراطوريته بين أبنائه الثلاثة، غير أن اثنين توفيا وبقي لويس التقي Louis le Pieux الذي توجه شارلمان بتاج الإمبراطورية سنة 814م، إلا أنه أُعيد تتويجه مرة أخرى من قبل البابا ستيفن الرابع Steven VI(816-817م) سنة 816م، ولم تكن للويس المقدرة السياسية ولا الإدارية، واستمر هو نفسه في مشروع التقسيم، بحيث وضع سنة 817م مشروعا لتقسيم إمبراطوريته بين أبنائه، لوثر Luther وببين Pipin ولويس Louis، غير أن لويس التقي تزوج مرة أخرى وأنجب طفلا اسماه شارل، فقرر إعادة التقسيم من جديد، ولكن ذلك لم يعجب الأبناء هذا التصرف، فاندلعت حرب بين الأخوة من جهة وبينهم وبين أبيهم من جهة أخرى. ولكن بوفاة ببين ثم لويس التقي سنة 840م، فانحصر الخلاف بين بقية الأبناء[1]، وهم شارل الأصلع ملك نوستريا ولويس الألماني ملك شرقي الراين، ولوثير ملك أوستراسيا وبرجنديا وايطاليا[2]، إلى أن وضعت الحرب أوزارها وتم التصالح فيما بينهم في اتفاقية فردون Verdun سنة 843م[3]. بحيث أخذ شارل الأصلع نوستريا وأقطانيا وإقليم الثغور الإسبانية، وهي الأراضي الواقعة غربي الرون والساؤن Saône من فرنسا الحديثة، بينما أخذ لويس أوستراسيا شرقي الراين، بما في ذلك بافاريا وسوابيا وسكسونيا بألمانيا تسود فيها اللغة الألمانية عدا الأخيرة (حاليا القسم الشرقي من الرايخ الألماني)، بينما امتدت أراضي لوثير من (فريزلند هولندا الحالية) إلى قلورية في أقصى شبة الجزيرة الإيطالية، يضم عاصمة الإمبراطورية اكس لاشابل Aix la Chapelle وروما مقر البابوية[4].

---

[1] عاشور، تاريخ، ص ص. 169-170.

[2] هربرت فشر، المرجع السابق، ق.1، ص.100-101.

[3] عاشور، تاريخ، ص ص. 169-170.

[4] هربرت فشر، المرجع السابق، ق.1، ص.101.

وبذلك تكون معاهدة فردون إرهاصا بميلاد بعض الدول الأوربية الحديثة التي تمايزت على أساس لغوي، بحيث حكم شارل الأصلع الإقليم الذي تكلم الرومانية المحرفة عن اللاّتينية (فرنسا)، بينما حكم لويس الألماني الجزء الذي تكلم الألمانية (ألمانيا)، في حين أخذ لوثر المنطقة الوسط وهي انتقال بين الألمانية والفرنسية التي سميت باسمه لوثرنجيا، ثم تم تحريفها إلى اللورين، وهي لا تزال إلى اليوم حلقة انتقال بين اللغتين الألمانية والفرنسية[1]. توفي لوثر سنة 855م، فقُسمت مملكته بين أبنائه الثلاثة، وكثر الصراع بين أبناء البيت الكارولنجي، ولم يبق من الأبناء الشرعيين سنة 884م سوى شارل البسيط في فرنسا وشارل السمين في ألمانيا، غير أن هذا الأخير عُزل سنة 887م، وتوفي السنة التالية، في حين أن شارل البسيط كان طفلا، مما ساعد أودو Oddo كونت باريس على اعتلاء العرش، وتأسيس أسرة جديدة وهي أسرة كابيه Capet سنة 888م[2]، لتستمر هذه الأسرة في حكم فرنسا إلى غاية سنة 987م، أما في ألمانيا فإن الحكم الكارولنجي انتهى سنة 911م[3].

.....

المحاضرة الحادية عشرة

الصراع بين البابوية والإمبراطورية

بتتويج شارلمان إمبراطورا على الغرب وإحيائه للإمبراطورية الرومانية المقدسة في مستهل القرن التاسع الميلادي، كانت البابوية قد وضعت أسسها وركائزها، ولم يبق للبابوات سوى بذل قصارى جهودهم لإكمال المسيرة البابوية التي وضع دعامتها جريجوري

[1] عاشور، تاريخ، ص ص.170-172.

[2] عاشور، تاريخ، ص.172.

[3] كانتور، المرجع السابق، ج.1، ص.274.

العظيم(ت.604م)، وكان هذا إرهاصا ببداية الدور الثاني في تاريخ البابوية وصراعها مع القوى السياسية في الغرب[1].

وقد شغل هذا الصراع حيزا زمنيا طويلا، لكن بموت شارلمان الذي ساهم البابا ليو الثالث في تتويجه، سرعان ما أنهى الآمال والطموحات، إذ تم تقسيم الإمبراطورية بين الأبناء، ولم تلبث أن ساعدت الظروف الملك أوتو الأول(936-973م) ابن هنري الأول بأن يكون متوجا بتاج الإمبراطورية، نتيجة وقوفه إلى جانب البابا يوحنا الثاني عشر John XII(955-964م) ضد أعدائه في ايطاليا، وهكذا تشابكت المصالح وتداخلت بين الألمان والايطاليين، وسعى الأباطرة الألمان لتثبيت نفوذهم في ايطاليا على حساب البابوات.

غير أن البابوية أصابها الضعف وفي كامل الجهاز الكنسي، ومن بين العيوب مسألة انتخاب البابوات وبيع المناصب الدينية (السيمونية) وزواج رجال الدين، بالإضافة إلى تراجع وتدهور النظم الرهبانية، وأصبح الوضع ملحا من أجل الإصلاح، فلقي ذلك تأييدا من الإمبراطور الألماني هنري الثالث (1039-1056م)، الذي قضى على مسألة التلاعب في انتخاب البابوات، كما ساهم بدوره في اعتلاء ليو التاسع Leo IX(1049-1054م) عرش البابوية، حيث انتعشت البابوية في عهده، وبمجيء البابا جريجوري السابع(1073-1085م) أصبحت البابوية ذات استقلال تام دينيا وسياسيا[2].

وفي فترة بابوية جريجوري، كان حينها يجلس على عرش الألمان طفل صغير هو هنري الرابع Henry IV(1056-1106م)، فكان لزامٌ على البابا فرض سلطانه، وترجيح كفة البابوية على الإمبراطورية، وبذلك كان إيذانٌ ببداية الصراع[3]، وقد اتهم جريجوري الإمبراطور ونهَاهُ عن التدخل في شؤون الكنيسة، وفي نوبة غضب دعا الإمبراطور هنري

[1] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، ص.185.

[2] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، ص ص.185-186.

[3] المرجع نفسه، ص.186.

إلى عقد مجلس في وورمز Worms وأعلن بطلان الانتخابات، إن لم يتم استشارته مسبقا كإمبراطور[1]، وكان ذلك سنة 1076م، وقد رد البابا بحرمان هنري ورجال الدين الذي اشتركوا معه في قرار مجمع وورمز، وبذلك اندلعت الحرب بينهما، التي انتهت برضوخ الإمبراطور لمطالب البابا في حادثة كانوسا Canossa [2].

حينها كان جريجوري يحتمي من اللومبارد في قلعة ماتيلدا Matilda ثلاثية الجدران في كانوسا، جاءه الإمبراطور هنري رافعا رايته من أجل السلام، ومن خلال وسطاء وضع جريجوري القواعد الأساسية للاتفاق، وكان على هنري أن يرسل تاجه وجميع حليه الملكية الأخرى ليتم التخلص منها من قبل قداسته، كما يجب عليه أن يعترف علانية بعدم استحقاقه ليكون إمبراطورًا بعد سلوكه المشين في وورمز، بالإضافة إلى أن يلتزم بأي تكفير عن ذنبه فرضه عليه البابا[3].

وحينما اعتلى عرش البابوية أوربان الثاني (1088-1099م)، افتتح عصره بالحروب الصليبية على المسلمين، بأن دعا جموع اللاّتين في مجمع كليرمونت Clermont بفرنسا في نوفمبر سنة 1095م لخوض الحرب المقدسة، وأثناء ذلك كان على خلاف مع ملك فرنسا فيليب الأول Philippe I لعلاقته غير المشروعة بخليلته برتراد دي مونتفورت Bertrad de Montfort، فأصدر قرار الحرمان ضده، وهدد أيضا وليم الثاني William II (1087-1100م) النورماني ملك انجلترا نتيجة خروجه عن تعاليم الكنيسة الغربية، كما ساءت علاقته بالإمبراطور الألماني هنري الرابع Henry IV (1050-1106م) فاصدر

---

[1] للمزيد عن ذلك انظر: Peter de Rosa, Vicars of Christ the dark side of the Papacy, Crown Publishers, 1988, New York, P.51.

[2] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، ص.187.

[3] للمزيد عن الإذلال الذي لحق بالإمبراطور في كانوسا انظر: Peter de Rosa, op.cit., PP.51-52.

بحقه الحرمان الكنسي أيضا، ولعل ذلك يعطينا فكرة عن عدم مشاركة ملوك الغرب في الحملة الصليبية الأولى، بينما شارك فيها الأمراء وإتباعهم في النظام الإقطاعي[1].

وبهذا خرجت البابوية منتصرة لتبدأ مرحلة جديدة، وهذا عندما عملت الملكية الألمانية على محو عار كانوسا وزيادته في عهد أوربان الثاني، إذ أن الإمبراطور هنري الخامس (1106-1125م) الذي راح يسعى إلى الخروج من فلك البابوية وانتهى به المطاف إلى عقد اتفاقية وورمز سنة 1122م مع البابا كاليكستيس الثانيCalixtus II(1119-1124م)، بها تم حل مشكلة التقليد العلماني التي كانت سببٌ في إثارة المشاكل من حين إلى آخر، غير أن سبب الصراع الجوهري بين البابوية والإمبراطورية لم ينته بعد، فكلاهما كان يسعى للزعامة على العالم المسيحي[2].

ومن بين قرارات وورمز أن انتخاب الأساقفة ومقدمي الأديرة خارج ألمانيا وفق القانون الكنسي دون تدخل السلطة العلمانية، وبتعيين الأسقف والاحتفال بذلك دينيا، يمكن للإمبراطور أن يزوده أو يكلفه بأية سلطة. أما بخصوص أساقفة ألمانيا فيمكن انتخابهم، وللإمبراطور أو ممثله حق الحضور، وبعد عملية الانتخاب يقوم الإمبراطور بتقليد الأسقف تقليدا علمانيا قبل التقليد الديني، فحضور الإمبراطور أو ممثله يمكن أن يؤثر على عملية الانتخاب، غير أن البابوية حققت نصرا على الإمبراطور ولو جزئيا وذلك بتحديد سلطة الإمبراطور في اختيار الأساقفة، وبهذا ظل البابا سيد الموقف في الغرب الأوربي[3].

وباعتلاء فردريك الأول Frederick I Barbarossa بربا روسا عرش الإمبراطورية (1152-1190م)، ستبدأ المرحلة الثالثة من الصراع بين السلطتين وكان سبب ذلك هو تدخل التاج الإمبراطوري في ايطاليا، غير أن حملات الإمبراطور على ايطاليا باءت بالفشل

---

[1] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، ص ص.187-188.

[2] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، ص.188.

[3] عاشور، تاريخ أوربا، ص.324.

وكانت الحملة الخامسة آخرها (1174-1176م)، وهذا نتيجة لتحالف المدن اللومباردية مع البابا من أجل إعطائهم الاستقلال، وهكذا فعل البابا اسكندر الثالث Alexander III (1159-1181م) بفردريك كما فعل سلفه جريجوري بهنري الرابع في كانوسا، إلى أن اعتلى عرش البابوية إنوسنت الثالث(1198-1216م) الذي كان ينظر إلى البابا على أنه خليفة الله على الأرض، وأن الحكام والملوك أتباعه وعماله، وبهذا أصبح الاصطدام بين السلطتين واردا.

ولقد بلغت البابوية أوج عظمتها في عهده وأصبحت الإمبراطورية تحت نفوذه وسلطته ودانت له كل كيانات الغرب اللاّتيني بالولاء[1]. "وقد شبه البابا إنوسنت الثالث البابوية بالشمس والإمبراطورية بالقمر الذي يستمد نوره منها"[2]، وظهرت شخصية فردريك الثاني بعد انتصار فيليب أغسطس ملك فرنسا على خصومه في موقعة بوفان Bouvines سنة 1214م، حينها انسحب أوتو الرابع Otto IV إلى سكسونيا إلى أن توفي سنة 1218م، فأصبح المجال مفتوحا لفردريك ويتوج إمبراطورا على ألمانيا والصقليتين.

لقد كان فردريك ذو دهاء وثقافة عالية يجيد عدة لغات منها اللغة العربية، حتى لقب "بأعجوبة الدنيا"، وكانت الظروف لصالحه إذ توفي البابا إنوسنت الثالث سنة 1216م، فتحرر فردريك من الهيمنة البابوية، غير أن البابا الجديد هونوريوس الثالث Honorius III (1216-1227م) لم يهتم للصراع بين السلطتين، ووجه جهوده لخوض غمار الحروب الصليبية من جديد، سبق وأن تعهد الإمبراطور للبابا بخوص صليبيته سنة 1215م، وبفصل صقلية عن الإمبراطورية غير أنه تماطل للقيام بذلك، بل أنه توج ابنه هنري سنة 1220م، كما تم تتويج فردريك الثاني إمبراطورا في روما في السنة نفسها، وهذا بعد أن جدد العهد

[1] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، ص ص.188-189.

[2] عاشور، تاريخ، ص.348.

بالقيام بصليبيته[1]. وبوصول البابا جريجوري التاسع إلى سدة عرش البابوية (1227-1241م) أصر على صليبية فردريك مرة أخرى، ونتيجة لفشله أصدر قرار الحرمان ضده سنة 1227م[2].

وأخيرا أدرك الإمبراطور أنه من واجبه القيام بصليبيته على الشرق، والقصد من ذلك ليس خوضه للحرب وإنما لمفاوضة المسلمين، بل استعطافهم لينال مبتغاه في ذلك، وتشير رسالة بعث بها الإمبراطور إلى السلطان الكامل الأيوبي(1218-1238م) :"أنا مملوكك وعتيقك وليس لي عما تأمره خروج، أنت تعلم أني أكبر ملوك البحر، وقد علم البابا والملوك باهتمامي وطلوعي، فإن رجعت خائبا انكسرت حرمتي بينهم"[3].

وبموجب اتفاقية سنة 1229م بينه وبين السلطان الكامل، استطاع هذا الإمبراطور أن يحقق ما عجزت عنه الجيوش الصليبية من قبل في استرجاع بيت المقدس بعد أن استرجعها السلطان صلاح الدين من منهم سنة 1187م. حيث دخل فردريك إلى كنيسة القيامة ووضع التاج على رأسه، وبهذه الطريقة التي تعني أنه لم يتلق التاج من البابا، وفي عودته دخل في صراع مع البابوية، فاصدر جريجوري التاسع قرار الحرمان ضده للمرة الثانية سنة1238-1239م[4].

غير أن هذه السطوة والنفوذ للبابوية لم تدم، إذ أنها سرعان ما رجحت كفة السلطة الزمنية، وتحدت البابوية في مزاعمها على العالم المسيحي، وقام أتباع الملك الفرنسي فيليب الرابع (1285-1314م) باعتقال البابا بونيفاس الثامن Boniface VIII(1294-1303م)

---

[1] المرجع نفسه، ص ص.351-353.

[2] للمزيد من التفاصيل انظر: Brett Edward Whalen, the tow Powers, the Papacy, the Empire, the Struggle for Sovereignty in the thirteenth century, 2019, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, Introduction, P.1.

[3] نقلا عن عاشور، تاريخ، ص ص.354-355.

[4] عاشور، المرجع نفسه، ص ص.355-357.

وإذلاله[1]، وأصبحت البابوية تسير نحو الأسوأ، ويترك البابوات روما ويصبحون في منفاهم بمدينة أفينيون Avignon مدة سبعين سنة وزيادة (1305-1378م)، وتحدث القطيعة الكبرى في الغرب اللاّتيني (1378-1417م)، وبدأت المجالس تعقد لتدارك الأمر، وتعلو الأصوات بضرورة الإصلاح، في حين بدأت العامة تتخلى عن البابوية، نتيجة تخليها عن رسالتها الروحية، وانصرافها لممارسة العمل الدنيوي[2].

.....

المحاضرة الثانية عشرة

أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوربا في العصور الوسطى

إن رسالة الإسلام جاءت للناس كافة تبين لهم الطريق القويم، وعبادة الله الواحد الأحد، وأن محمدا عليه الصلاة والسلام هو الرحمة المهداة، جاء لإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة، من اتبعه ظَفِر ومن عصاه خسر.

ولقد صاغ الإسلام الأمة العربية الإسلامية صياغة جديدة، فغير كثير من طبائعها ومثلها وقيمها، وعاداتها وتطلعاتها، فإذا بها تكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، فإذا بها تخترق الحدود وتحطم الحواجز التي بينها وبين دولتي فارس والروم، وتهاوت أمام الزحف العربي الإسلامي، ولاحت بوادر حضارة مشرقة أخذ منها الغرب أصول بنائه الحضاري[3].

---

[1] للمزيد انظر: Brett Edward Whalen, op.cit., P.227.

[2] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، ص ص. 189.

[3] أحمد علي الملا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، ط.2، 1981، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، مقدمة الكاتب، ص.7.

وحقيقة فالمسلمون كان لهم الاهتمام الأكبر بالعلم والمعرفة، وبذلك أسهموا مساهمة فعالة في رقي الحياة الإنسانية، بما توصلوا إليه من نتائج ذات أثر[1]، وقد كان تأثير الحضارة العربية الإسلامية كبيرا على الغرب اللاّتيني خلال العصور الوسطى، إذ انتقلت كثير من المؤلفات العلمية الإسلامية في مختلف العلوم، التي ترجمت إلى اللغة اللاّتينية، وكانت تدرس في المدارس والمعاهد والجامعات، وتؤخذ كمراجع رئيسية للحصول على المادة العلمية والمعرفية التي تقدم للطلاب في أوربا في تلك الحقبة، ولذلك تجد كثير من المستشرقين الذين يعترفون بفضل الحضارة العربية الإسلامية على المجتمع الغربي، وأن هذه العلوم والمعارف شكلت النواة الأساسية للفكر الأوربي[2].

ومن الحق أن نشير إلى أن المسلمين في بداية مشوارهم العلمي واشتغالهم به، وخاصة ما يتصل منه بالعلوم التجريبية والبحتة، فإنهم قد نظروا في علوم الأقدمين من اليونان والفرس والهنود وغيرهم[3]، فالمسلمون في القرنين الثاني والثالث الهجريين(الثامن والتاسع الميلاديين) قد اهتموا بترجمة العلوم القديمة وفهمها[4]. فالعباسيون كان لهم اهتمام بذلك، وقد ترجموها إلى اللغة العربية، فالخليفة المأمون(198-218هـ/814-833م) كان من الأوائل الذين كانت لهم عناية خاصة بعلوم الأولين، فقد جند لها عددا من المترجمين وبنى لهم دارا خاصة سُميت ببيت الحكمة، وقد كان يرأسها سهل بن هارون ثم حنين بن إسحاق[5].

---

[1] سعد عبد الله البشري، ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية في الطب والرياضيات والفلك في اسبانيا خلال القرنين السادس والسابع الهجريين(12و13م)، مجلة أم القرى، السنة الأولى، العدد الثاني، 1409هـ، ص.95.

[2] أحمد علي الملا، المرجع السابق، مقدمة الكاتب، ص.7.

[3] سعد عبد الله البشري، المرجع السابق، ص.95.

[4] إيمان محمود سقيو، حركة الترجمة من اللغات الشرقية إلى اللغة اللاتينية وأثرها على الحضارة الأوربية، 2013، دار الآفاق العربية، القاهرة، ص.36.

[5] سعد عبد الله البشري، المرجع السابق، ص.95.

وفي تلك الفترة عندما كانت الدولة الإسلامية تحمل مشعل الحضارة في مختلف المجالات، حينها كان الغرب اللاّتيني يعيش حالة من الركود والتخلف الفكري والحضاري[1]، وحينما أرادت أوربا أن تزيل عن نفسها غبار العصور الوسطى المظلمة، ألتفتت إلى الحضارة العربية الإسلامية لتنهل من رحيق علومها ومعارفها وفكرها، ولهذا عكف العلماء ورجال الدين على دراسة المؤلفات العلمية لعلماء المسلمين، أمثال ابن سينا والرازي والبتاني وابن الهيثم والبيروني والخوارزمي والكندي والفارابي وغيرهم كثير[2].

وهذا التراث الضخم الذي خلفه المسلمون انبهر به المجتمع اللاّتيني[3]، فكانت هذه المؤلفات بحق المنهل العذب، الذي أقبل عليه طلاب المعرفة ينهلون من رحيقه[4]، وبما أن المسلمين قد استقروا في مناطق عديدة من قارات العالم القديم، آسيا وأفريقيا وأوربا، فقد شكلت كثير من الحواضر التي أقامها المسلمون هناك نقاط تماس بين المجتمعات، وخاصة الإسلامي واللاّتيني، وبذلك أصبحت المدن قبلة لطلاب العلم والمعرفة، ومنها انتقلت هذه العلوم إلى الغرب، ونذكر من هذه المنافذ الأندلس ومختلف حواضرها، وصقلية، بالإضافة إلى بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، خاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

-الأندلس:

لم تختلف اسبانيا عن بقية أقطار الغرب الأوربي، من حيث الجمود الفكري والحضاري، عشية دخول الفاتحين المسلمين إليها، وما إن استقر المسلمون في هذا الإقليم بدؤوا بتنشيط الحياة في مختلف مجالاتها، وأصبحت المدن الأندلسية من أغنى مدن الغرب، وخاصة

[1] أحمد علي الملا، المرجع السابق، ص.8.

[2] أحمد علي الملا، المرجع السابق، ص.8.

[3] إيمان محمود سقيو، المرجع السابق، ص.36.

[4] أحمد علي الملا، المرجع السابق، ص.8.

قرطبة. وحقيقة فإن المسلمين في الأندلس لم يدخروا جهدا في تحصيل العلوم والمعارف، فقد وصلت الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس درجة متقدمة في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي(الرابع الهجري)، وهذا بعد أن أصبحت قرطبة حاضرة للخلافة الأموية، ومن أعظم وأجل حواضر العالم المتقدم آنذاك[1].

و"لقد ظلت قرطبة سيدة المدن، وكانت بضواحيها الثماني والعشرين في عصر عبد الرحمن في منتصف القرن العاشر أكبر مدن أوربا كلها"، وزيادة على القصور احتوت قرطبة آلاف المنازل ومئات المساجد والحمامات، بالإضافة إلى عشرات المدارس، منها المدارس العليا، كما كانت هناك مكتبات عامة تحوي آلاف الكتب[2]. لقد كان صدى حواضر الأندلس ذا تأثير على رجال الغرب آنذاك، إذ كانت رحلة جربر دي أورلياك Gerbert d`Aurillac (838-1003م)، -أصبح فيما بعد البابا سلفستر الثاني Sylvestre II – إلى الأندلس من أجل نهل العلوم الإسلامية، في قرطبة واشبيلية، ولما عاد إلى روما انتخبوه لمنصب البابوية، حيث قام بإنشاء مدرستين عربيتين في روما، وفي ريمس Reims بفرنسا، كما أمر بإنشاء مدرسة شارتر Charter أيضا، ويرجع له الفضل في نشر الأرقام العربية في الغرب، بالإضافة إلى ترجمة بعض الكتب في الرياضيات والفلك[3].

وفي نهاية القرن الحادي عشر الميلادي(الخامس الهجري)، بدأ عصر جديد في ميدان النقل والترجمة من علوم المسلمين إلى اللغة اللاّتينية، وكان ذلك في مدينة طليطلة بعد سقوطها في يد ألفونسو السادس Alfonso VI ملك قشتالة Castille (1072-1109م) سنة 1085م/478هـ، ولقد كانت مساهمتها فعالة في نقل العلوم العربية الإسلامية إلى اللغة

---

[1] حسن حلاق، المرجع السابق، ص ص.19-20.

[2] زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب"أثر الحضارة العربية في أوربة"، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.8، 1993، ص.499.

[3] سعد عبد الله البشري، المرجع السابق، ص.100.

اللاّتينية بصفة خاصة[1]. ويقول الدكتور كويلر يونج Guyler Young أستاذ العلاقات في جامعة برنستون:" كل الشواهد تؤكد أن العلم الغربي مدين بوجوده إلى الثقافة العربية الإسلامية، كما وأن المنهج العلمي الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة، والذي أخذ به علماء أوربا، إنما كان نتاج اتصال العلماء الأوربيين بالعالم الإسلامي عن طريق دولة العرب في الأندلس"[2].

لقد كان القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين(السادس والسابع الهجريين) عصر صحوة أوربية، فقد أصبحت الحواضر الإسلامية مناطق استقطاب لطلاب العلم والمعرفة من شتى أنحاء الغرب، وكانت الأندلس هي التي احتضنت حركة ترجمة العلوم العربية الإسلامية إلى اللغة اللاّتينية، وبذلك ساهمت في الاطلاع على التراث الإسلامي، مما دفع بعجلة النهضة الأوربية [3].

صقلية:

بعد أن تمكن الأغالبة من فتح جزيرة صقلية سنة 827م/212م، ومواصلة مسيرتهم الجهادية في أقاليمها واستقراهم بها ومن جاء بعدهم من المسلمين، أمكن أن تقوم بها حضارة عربية إسلامية شاملة، في مدن الجزيرة ومنها بالرمو Palermo ومسينا Messina وسرقوسة Siragusa ، حيث انتشرت القصور والمساجد والبيمارستانات (المستشفيات) والأسواق والقلاع والقناطر وصناعة الورق والسفن، كما كانت مشاركتهم في التجارة، بالإضافة أنهم مكنوا اللغة العربية ورسخوا عاداتهم وتقاليدهم. وظهرت شخصيات إسلامية

---

[1] المرجع نفسه، ص.101.

[2] نقلا عن أحمد علي الملا، المرجع السابق، ص.9.

[3] سعد عبد الله البشري، المرجع السابق، ص.99. للمزيد من المعلومات عن حركة الترجمة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، انظر: مبروك بن مسعود، حركة الترجمة من التراث العربي الإسلامي إلى اللغة اللاّتينية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (6 و7 الهجريين)، مجلة تاريخ المغرب العربي، مج.3،(2018/5)، جامعة الجزائر 2، ص ص.25-32.

في مختلف العلوم، منهم علي بن حمزة البصري وابن البر ومحمد النحوي وإسماعيل بن خلف ومحمد بن إبراهيم التميمي، وغيرهم كثير[1].

وتقول المستشرقة الألمانية بخصوص الوجود العربي الإسلامي في جزيرة صقلية:" وحولوا خرائب صقلية إلى حدائق غناء، واستوردوا لها من بلادهم أشجار النخيل، وزرعوا فيها أشجار البرتقال والفستق والموز والزعفران، وحولوا الجزيرة الفقيرة بالقطن وقصب السكر إلى بلد يزخر بالخيرات، وزينوها بالمساجد الرائعة والقصور، التي كانت تعج بالشعراء والمغنيين والفلاسفة والأطباء، وعلماء الرياضيات والطبيعة...واستخدم المتعلمون في كتاباتهم ورقا أبيض كان أول ورق عرفته أوربا[2].

وباحتلال النورمان لجزيرة صقلية في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري)، حاولوا الاستفادة من منجزات المسلمين في شتى مجالات الحياة، وقد ظهر التأثر واضحا في نظام الحكم والإدارة والاقتصاد والعمران، كما تأثروا باللغة العربية وكتبوا بها[3]، وقد شكلت صقلية جسر عبور للثقافة العربية الإسلامية إلى الغرب.

-بلاد الشام:

لقد شكلت بلاد الشام حلقة اتصال بين الشرق والغرب، ومنها انتقلت العلوم العربية الإسلامية إلى الغرب، وخاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وكان ذلك عصر الحروب الصليبية. فالصراع بين الشرق والغرب حفز هؤلاء الغربيين لاستكشاف الشرق وحضارته والاستفادة من منجزاته، لأنهم وجدوا في الحضارة العربية الإسلامية ما كانوا يفتقدونه، وللاستفادة من ذلك تعلموا اللغة العربية لكي يتمكنوا من التعامل مع

[1] خالد الصقلي، الحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية خلال فترة الحكم النورماني 462-592هـ/1070-1194م، منشورات دار الأمان، الرباط، 2012، ص ص.41-51.

[2] زيغريد هونكه، المرجع السابق، ص.410.

[3] للمزيد من التفاصيل، انظر: خالد الصقلي، المرجع السابق، ص ص.54-238. وللمزيد من التفاصيل انظر أيضا: حسن حلاق، المرجع السابق.

المسلمين[1]، وخاصة في التفاوض معهم في ميادين السلم والحرب. ومن بين الذين اهتموا باللغة العربية وتذوقوا آدابها وليم الصوري من المرجح أنه ولد في بيت المقدس قبيل سنة 1130م من أبوين ينتسبان إلى أسرة فرنسية، تعلم العربية واليونانية، بالإضافة إلى اللاّتينية، وبناء على توجيهات سيده عموري الأول ملك بيت المقدس(1163-1174م) ألف كتابا عن تاريخ الشرق عموما والغرب بوجه خاص، منذ ظهور الإسلام إلى زمنه (القرن الثاني عشر الميلادي)[2].

وقد تفاعل الصليبيون مع السكان المحليين وخاصة المسيحيين، بأن تزوج هؤلاء من مسيحيات بلاد الشام، كما عقدوا الاتفاقيات مع المسلمين لحماية الصيادين والتجار والمسافرين، بالإضافة إلى استفادة الصليبيين من مختلف الوثائق والمصادر العلمية العربية الإسلامية، وحملوها معهم إلى الغرب، كانت بحق أساس النهضة في أوربا، ومن الأدلة على شغف الأوربيين بالعلوم والمعارف، ما قام به الإمبراطور فردريك الثاني، بمراسلة السلطان الكامل الأيوبي حول مسائل الهندسة(المسائل الصقلية)، في الوقت الذي كان يتفاوض مع المسلمين على القدس، وبهذا تكون الحروب الصليبية قد فتحت آفاقا للغرب[3].

في حين هناك من يقول بأن الصليبيين قصدوا المشرق للاستيطان وليس لطلب العلم، وأن المملكة الصليبية في بيت المقدس لم تنل حظا من علوم المسلمين[4]، وعلى الرغم من ذلك فإن الاستيطان الصليبي في الشام طيلة قرنين من الزمان، قد سمح لهؤلاء بمجاورة المسلمين والتعامل معهم، خاصة في التجارة، والاطلاع على منجزاتهم.

---

[1] إيمان محمود سقيو، المرجع السابق، ص ص.79-80.

[2] محمود الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، 1979، دار المعارف، القاهرة، ص.220.

[3] إيمان محمود سقيو، المرجع السابق، ص. 80.

[4] المرجع نفسه، ص.81.

الملاحق

الملحق الأول: الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع الميلادي

انظر: عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص.9.

الملحق الثاني: هجرات الشعوب(الهجرات الجرمانية)

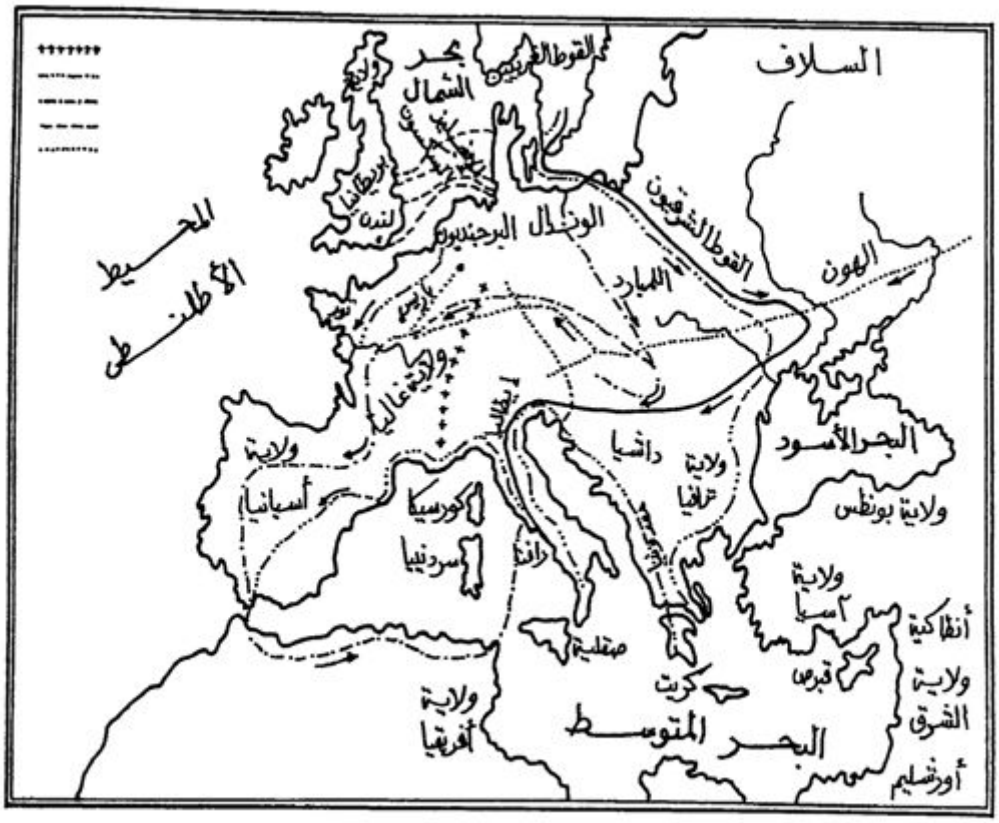

انظر: نورمان كانتور، المرجع السابق، ص.147.

الملحق الثالث: غالة في عهد الأسرة الميروفنجية

انظر: عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص.150.

الملحق الرابع: الإمبراطورية الكارولنجية في عهد شارلمان

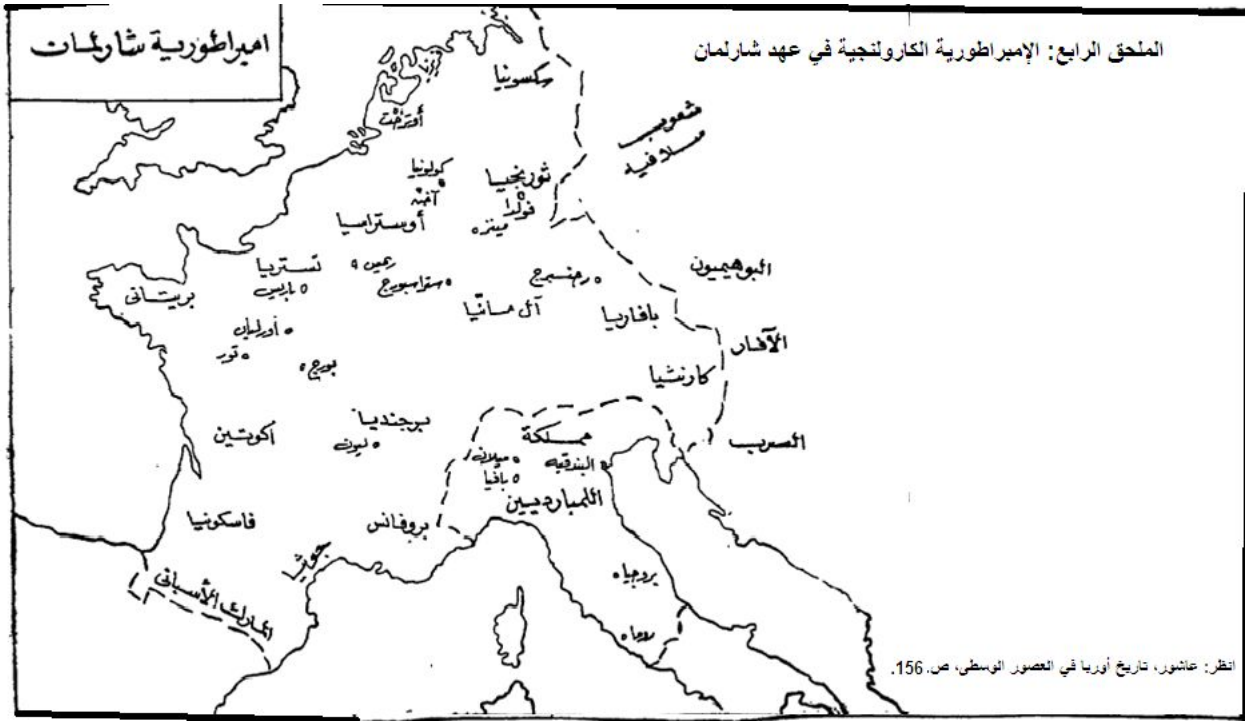

انظر: عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص. 156.

الملحق الخامس: معاهدة فردون سنة 843م

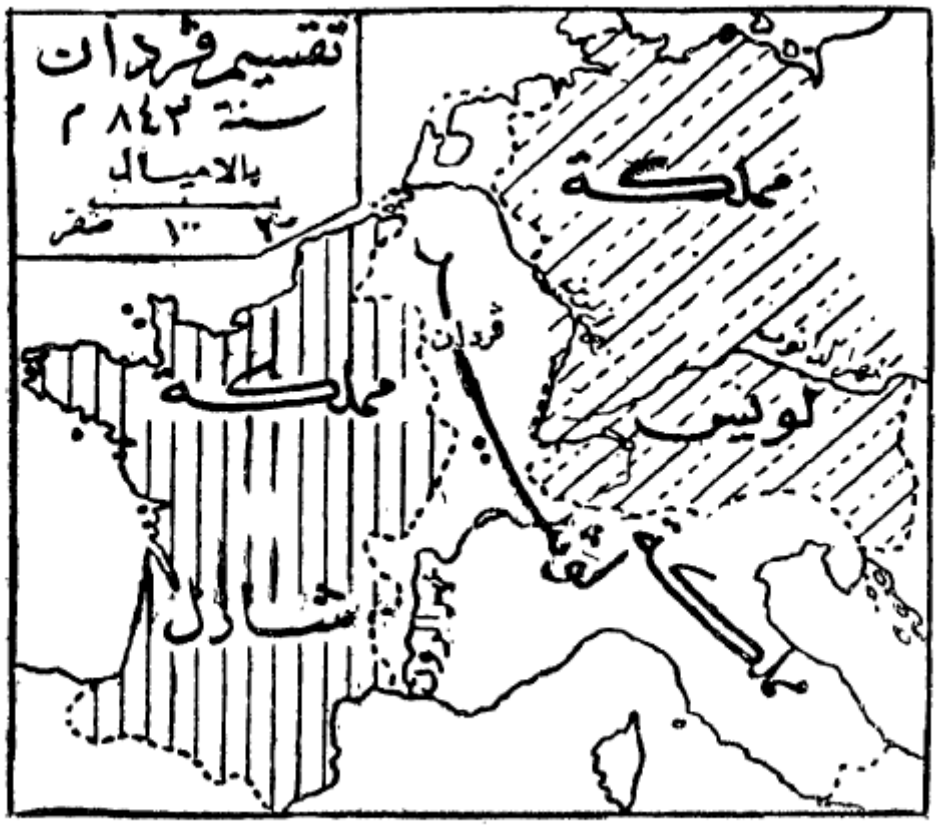

انظر: عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص.151.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

1-المصادر:

اينهارد (ت.840م):

- سيرة شارلمان، ترجمة: عادل زيتون ، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق ، 1989.

تاكيتوس (القرن الثاني الميلادي):

- جرمانيا، ترجمة، إبراهيم علي طرخان، (د.د.ن)، القاهرة، 1959.

الجعفري، أبو البقاء صالح بن الحسين(ت.668هـ):

- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، 1998، نشر وتوزيع مكتبة العبيكان، الرياض.

فوشيه الشارتري(ت.1127م):

- تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد جميل العسلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1990، عمان، الأردن.

2-المراجع العربية والمعربة:

إبراهيم أحمد العدوي:

- الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

إبراهيم علي طرخان:

- دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958.
- الحركة اللاّ أقونية في الدولة البيزنطية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1956، القاهرة.

إدوارد جيبون:

- اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج.1 ، ترجمة: محمد علي أبو درة،

ط.2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1997.

إسحق عبيد تاوضروس:

-الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في مدينة الله ، دار المعارف، القاهرة ، 1972.

- أوروبا في العصور الوسطى : المفهوم والحضارة ، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006.
- من ألآرك إلى جستنيان : قراءة في حوليات العصور المظلمة ، دار المعارف ، القاهرة، 1977.
- الفرسان والأقنان في مجتمع الإقطاع، ط.2، 1975، مطبعة دار الكتب، بيروت، لبنان.

جوزيف نسيم يوسف:

- تاريخ العصور الوسطى الأوروبية و حضارتها ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 1984.
- تاريخ الدولة البيزنطية 284-1453، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2013.

حسان حلاق:

-العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى،الاندلس-صقلية-الشام، ، ط.2، دار النهضة العربية، بيروت، 2012.

خالد الصقلي:

- الحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية خلال فترة الحكم النورماني 462-592هـ/1070-1194م، منشورات دار الأمان، الرباط، 2012.

س. ورن هلستر:

- أوروبا في العصور الوسطى ، ترجمة: محمد فتحي الشاعر ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة.

عاشور عبد الفتاح :

- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976.
- أوربا العصور الوسطى، النظم والحضارة، ج.2، مكتبة النهضة المصرية، 1959، القاهرة.

- **السيد الباز العريني:**
- تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1968.

الشعراوي أحمد إبراهيم:

- الإقطاع وأوربا في العصور الوسطى، 1970، المطبعة العالمية، القاهرة.

كرستوفر داوسن:

- تكوين أوربا ، ترجمة : سعيد عاشور عبد الفتاح ومحمد مصطفى زيادة ، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، 1967.

زيغريد هونكه:

- شمس العرب تسطع على الغرب"أثر الحضارة العربية في أوربة"، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.8، 1993.

محمد حمزة حسين، لبنى رياض عبد المجيد:

- تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار ابن الأثير، جامعة الموصل، 2015.

محمد محمد مرسي الشيخ:

- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، 1994، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي 755-976م/138-366هـ، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1981م/1401هـ، مصر.

محمد محمود الحويري:

- اللومبارديون في التاريخ والحضارة 568-774م ، دار المعارف ، القاهرة ، 1986.

- رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ، ط.3 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995.
- الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، 1979، دار المعارف، القاهرة.

محمد العروسي المطوي:

- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، 1982، دار الغرب الإسلامي.

محمود سعيد عمران:

- معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1986.

الملا أحمد علي:

-أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، ط.2، 1981، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق.

سقيو إيمان محمود:

-حركة الترجمة من اللغات الشرقية إلى اللغة اللاتينية وأثرها على الحضارة الأوربية، 2013، دار الآفاق العربية، القاهرة.

موريس بيشوب:

- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ترجمة: علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2004.

نورمان كانتور:

- التاريخ الوسيط : قصة حضارة البداية والنهاية ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، دار عين للدراسات والنشر ، القاهرة ، 2009.

هربرت أ.ل. فيشر:

- تاريخ أوربا العصور الوسطى ، القسم الأول ، تر. محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، ط.6 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1966.

هـ. سانت، ل.ب، موس:

- ميلاد العصور الوسطى 395-814، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.

ويلتر، ج:

-الهرطقة في المسيحية، ترجمة جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، بيروت.

3-المراجع باللغة الأجنبية:

- **Catherine Hills**, Anglos-Saxon Attutides in Britons in Anglo-Saxon England, Edited by, Nick Higham, The Boydell Press, woodbridge, 2007.

-**Charles Matson Odahl**, Constantine and the Christian Empire, Routledge, London, N.Y., Fst E^{d}, 2004.

- **Bonnie Carman Harvey**, Attila the Huns, Chelsea house Publishers, U.S.A, 2003,

- **Brett Edward Whalen**, the tow Powers, the Papacy, the Empire, the Struggle for Sovereignty in the thirteenth century, 2019, University of Pennsylvania Press, Philadelphia.

- **Heinrich Fichtenau**, the Carolingian Empire, the age of Charlemagne, translated by, Peter Munz, Harper and Row Publishers, New York, Evanston.

- **Kathryn Hinds**, Huns,2010,

- **Kevin Madigan**, Medieval Christianity, a new history,Yale University Press, New Haven and London, 2015.

- **Ian Wood**, the Merovingian Kingdoms 450-751, Longman Publishing, London, New York, 1994.

- **Margaret Deanesly**, A history of médiéval Church,590-1500, Routledge, London, N.Y., 2005.

- **Peter de Rosa**, Vicars of Christ the dark side of the Papacy, Crown Publishers, 1988, New York .

-**Timothy Barnes**, Constantine, Blackwell Publishing, U.K., Fst Edition, 2014.

- **Walter Ullmann**, Short history of Papacy in middle ages,Routledge, 2003, New York and London.

4-الموسوعات باللغة العربية:

- فنون عصر النهضة، الرينيسانس 1، دراسة: ثروت عكاشة، ط.3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011.

- الموسوعة العربية الميسرة، ط.3، 2009، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

5- الموسوعة باللغة الأجنبية:

-Encyclopedia of the Medieval World, Edit. Edward D.English, Library of congress, N.Y, U.S.A., 2005.

6-المقالات:

- البشري سعد عبد الله:

- ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية في الطب والرياضيات والفلك في اسبانيا خلال القرنين السادس والسابع الهجريين(12و13م)، مجلة أم القرى، السنة الأولى، العدد الثاني، 1409هـ.

مبروك بن مسعود:

- حركة الترجمة من التراث العربي الإسلامي إلى اللغة اللاّتينية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين(6 و7 الهجريين)، مجلة تاريخ المغرب العربي، مج.3، 2018/5، جامعة الجزائر (2).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المحاضرة الأولى: العصور الوسطى(المصطلح، البدايات)

-مصطلح العصور الوسطى.....3

-آراء المؤرخين حول بدايات العصور الوسطى.....3-8

المحاضرة الثانية: العصور الوسطى(النهايات، أهم الخصائص العامة لأوربا في العصور الوسطى)

-آراء المؤرخين حول نهايات العصور الوسطى.....10-12

-مراحل العصور الوسطى.....12-13

-أهم الخصائص العامة لأوربا في العصور الوسطى.....14-15

المحاضرة الثالثة: أوضاع الإمبراطورية الرومانية

-أزمة القرن الثالث الميلادي في الإمبراطورية الرومانية..... 16

-إصلاحات الإمبراطور دقلديانوس.....17

-الحكومة الرباعية..... 18

-إصلاحات الإمبراطور دقلديانس في المجال الإداري.....18-19

- التنظيم الحربي في عهد الإمبراطور دقلديانوس.....19

-إصلاح النظم المالية.....19-20

-الإمبراطور قسطنطين.....20-21

-تشريعات وقوانين وإصلاحات الإمبراطور قسطنطين.....21

-الإمبراطورية بعد قسطنطين.....22

-أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية.....22-23

المحاضرة الرابعة: الإمبراطورية الرومانية والمسيحية

-المعتقدات الدينية وتطورها عند الرومان.....23--25

-عوامل انتشار المسيحية في مختلف أرجاء الإمبراطورية الرومانية.....25

-رد فعل الأباطرة تجاه معتنقي المسيحية.....25-26

-المذهبية في المسيحية في القرون الأولى.....27-28

-صحوة الوثنية واندثارها تدريجيا.....28-29

-ظهور الكنيسة وتنظيمها.....29-30

المحاضرة الخامسة: غزوات البرابرة الجرمان(الجزء الأول)

-تعريف مصطلح بربرية.....31

-الجرمان.....32

-الحياة الاجتماعية والدينية عند الجرمان.....32-34

-أسباب غزو الجرمان لأراضي الإمبراطورية الرومانية.....34

-بدايات غزو القبائل الجرمانية لأراضي الإمبراطورية.....34-36

-نتائج الغزو الجرماني لأراضي الإمبراطورية.....36-37

المحاضرة السادسة:غزوات البرابرة الجرمان الجزء الثاني)

-قبائل الهون.....38-39

-القوط الغربيون.....40-43

-القوط الشرقيون.....43-44

-الفرنجة.....44-46

-الوندال.....46-48

-البورجنديون.....48-49

-اللومبارد.....50-49

-الأنجلو سكسون.....52-51

-سقوط الجناح الغربي من الإمبراطورية الرومانية.....52

-أهم نتائج الغزو الجرماني للإمبراطورية الرومانية.....53

المحاضرة السابعة: نشأة البابوية وتطورها

-تأسيس الكنائس وتطور مكانة الأسقف.....54-53

-ازدياد نفوذ الأساقفة بعد سقوط روما.....55-54

-البابا جريجوري الأول ونفوذ البابوية.....56-55

-البابا جريجوري السابع وازدياد نفوذ البابوية.....56

-البابا إنوسنت الثالث ومكانة البابا البابوية.....57

المحاضرة الثامنة: الإسلام

-انتشار الإسلام وبناء جسور التواصل.....59-57

المحاضرة التاسعة: مملكتا الفرنجة (1).....

-مملكة الفرنجة في عهد الميروفنجيين (482-751م).....60

-كلوفس.....61-60

-تقسيم الأراضي(الإرث) بين الأبناء 62

-نفوذ نظار القصور.....62

-ببين الثاني هرستال ونفوذه.....63

-شارل مارتل وتوسعاته.....64-63

-ببين الثالث (القصير) وانتهاء حكم الميروفنجيين.....64

المحاضرة العاشرة: مملكتا الفرنجة(2)

-مملكة الفرنجة في عهد الكارولنجيين (751-987م).....64

-شارلمان والأسرة الكارولنجية (768-814م).....65-68

-العلاقات مع المسلمين.....68-69

-تتويج شارلمان إمبراطورا على الغرب اللاّتيني سنة 800م.....69-72

-إصلاحات شارلمان (768-814م).....72-73

-تقسيم الإمبراطورية وعقد معاهدة فردون سنة 843م.....74-75

المحاضرة الحادية عشرة: الصراع بين البابوية والإمبراطورية

-النزاع بين البابوات والأباطرة حول مسألة الزعامة الروحية والسياسية.....75-81

المحاضرة الثانية عشرة: أثر الحضارة الإسلامية على أوربا في العصور الوسطى

-منافذ انتقال العلوم والمعارف العربية الاسلامية الى الغرب اللاّتيني.....

أ-الأندلس.....83-85

ب-صقلية.....85-86

ج-بلاد الشام.....86-87

الملاحق:.....88

المحلق الأول: الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع الميلادي.....89

الملحق الثاني: هجرات الشعوب (الشعوب الجرمانية).....90

الملحق الثالث: غالة في عهد الأسرة الميروفنجية.....91

الملحق الرابع: الإمبراطورية الكارولنجية في عهد شارلمان.....92

الملحق الخامس: معادة فردون سنة 843م.....93

قائمة المصادر والمراجع.....94-100

فهرس الموضوعات.....101-106